الفصل السابع

التكنيـــكات الإعلاميـــة
و إدارة الأزمـــــات الدوليـــــة

" إن تجربة فيتنام سوف تظل محفـورة فـى نفـسية الأمريكيين ، بينما سيحتفظ التـاريخ لنفـسه بـبعض الدروس المعبرة شديدة الأثر "

هنرى كيسنجر
وزير الخارجية الأمريكى
من كتاب " الدبلوماسية " ص ٢٦٤

الفصل السابع

التكنيكات الإعلامية
و إدارة الأزمـــات الدوليـــة

فى الأسبوع الأول من مارس ١٩٦٦ اصطدمت قوات المارينز الأمريكية مع قوات فيتنام الشمالية فى معركة دموية أطلق عليها اسم " عملية يوتا " وقد كتب جوزيف جالواى Goseph Galloway المحرر بوكالة يونايتد برس انترناشونال الأمريكية تقريراً عن إحدى وقائع " عملية يوتا " جاء فيه : "وقفنا على التل نشجع ونطلق صفارات ونرفع أصواتنا على النحو التالى : "اقتلوا ذلك الوغد ... انتقموا منه ... ماذا حدث لكم أيها الحمقى " ، كان الشيوعى الوحيد المتبقى يبعد عنا قرابة خمسين ياردة أسفل الربوة المجاورة ، يجرى ويختفى محاولاً أن يصل إلى القمة ، وكان يلاحقه حوالى ثلاثين من رجال المارينز نحو قمة التل المغطاة بالأشجار ، كنا كمن يشاهد مبارة للكرة من أعلى مدرجات استاد أمريكى ، فقد كنا فى نقطة أعلى من الطرفين نرى منها الشيوعى وملاحقيه ونستطيع أن نتابع كل حركة بوضوح ، كان رجال المارينز فى نقطة لا يرون منها فريستهم جيداً ، وقد أطلقوا النار عليه عدة مرات ، وفجأة أصابته إحدى الرصاصات ، فوقع الشيوعى على الأرض وسقط سلاحه من يده، " أجهزوا عليه ... أجهزوا عليه " هكذا صاح أحد المبتهجين بجانبى ، ثم انطلق الرجل يجرى من جديد ، فصاح أحد رجال المارينز : " هيا انطلقوا

وراءه ... أمسكوا به " ، ثم أصابت رصاصة أخرى قدم الشيوعى ، وللمرة الثانية عاد ليقوم ، وحين أصابته الرصاصتان الثالثة والرابعة أصبحت حركته بطيئة ، ووقع من جديد ولكنه ظل يتحرك ، يزحف نحو قمة التل ، ولا يعرف أحد هل ظل حياً أم مات فلم يتبعه رجال المارينز أكثر من أعلى الربوة " (ج.ويليام فولبرايت ١٩٩٤ : ١٢٧).

إن جوزيف جالواى لم يكن فى حقيقة الأمر يقدم تقريراً صحفياً عما حدث ، وإنما كان يقدم رؤيته للحدث كما أراد لنا أن نراه ، أنه لا يتحدث عن معركة أو حتى عن محاولة قتل عدو ، إنه يتحدث عن مطاردة شئ ... فقط مجرد شئ ... ، فقد حول مشهد القتل إلى " مشاهدة مباراة كرة من أعلى استاد أمريكى " وحول العدو إلى " وغد " و " فريسة " ، وحول مشاهدى القتل إلى "مبتهجين" ، وحول ثلاثين من رجال المارينز إلى " حمقى " لأنهم يعجزون عن الإجهاز على رجل واحد من حقه أن يعتبر نفسه وطنياً مناضلاً عن بلاده ضد الغزاة ، وهو ما لم يراه الصحفى لأنه نظر إلى الحديث من إطار نافذته التى دعانا إلى أن ننظر من خلالها لحدث لم نشاهده ، ولكى نراه كما أراد لنا أن نرى .

إن تكنيكات التعامل الإعلامى مع الأزمة تمثل النوافذ التى تحدد ما ينظر إليه ، وكيف ينظر من خلالها إلى أطراف وأحداث ومواقف الأزمة ، إنها تهدف بشكل أساسى إلى التركيز على " كيفية " تقديم ما يجب أن يقال ، فعندما تثور الأزمات الدولية وتتصاعد حدة الاحتياج إلى المعلومات عن التطورات والقرارات وردود الأفعال ، فإن وسائل الإعلام وهى تسعى لتلبية هذا الاحتياج يصحبها تساؤل مبدئى وهو لماذا تقدم هذه المعلومات ؟ ومن خلال الإجابة عليه تصل إلى سؤالها الاستراتيجى : إذن ... كيف تقدمها ؟

وتبدو صعوبة تحديد التكنيكات الإعلامية أثناء الأزمات الدولية فى أنها

تتعامل مع حالة معقدة من الأهداف والمصالح والأطراف والمراحل ، وأن أى خطأ يمكن أن يؤثر على مسارات أخرى ، وأن يستغل من خصم متربص ، أو يلتقط من متابعين يقظين ، ولذلك يجب أن يتم تحديد هذه الاستراتيجيات بوضوح من خلال تحليل أسباب الأزمة ، وأطرافها الفاعلة ، والقوى المؤثرة عليها ، ومتغيرات الوضع الحالى ، والمدى الذى يراد لها أن تصل إليه ، وخصائص الجمهور المستهدف والجمهور المتابع للأزمة ، وهو ما يؤكد أن التكنيكات الإعلامية هى تكنيكات موقفية Situational Techniques أى تتحدد وفقاً لمقتضيات الأزمة ، وإذا كان من المهم استيعاب التجارب الإعلامية فى الأزمات الدولية الأخرى ، إلا أنه يجب دراستها فى إطار المتغيرات الحاكمة لحركتها .

ومن المهم ملاحظة أن وسائل الإعلام وهى تحـــدد تكنيكاتها الإعلامية لا تنطلق من فراغ ، أو من ذات إعلامية ، وإنما يتحدد ذلك فى إطار علاقتها بباقى أدوات إدارة الأزمة الدولية ، والدور المنوط بها ، وهنا لا يبدو التكنيك عملاً إعلامياً محضاً ، وإنما يصبح رؤية تسرى بين الأداء الإعلامى وأداء باقى الأدوات فى بيان سياسى يصدر ، أو قرار عسكرى يذاع ، أو مساعدات اقتصادية تقدم ، أو تحرك قانونى يجرى ، أو خبر يتم تسريبه ، أو صورة تنشر، أو حوار مع صانع قرار يبتغى منه اعترافاً أو نفياً ، أو تركيزاً يتم على قيادة أو أداء ، أو تجاهل يتعمد ، أو تعليق يلتقط ، أو رسالة تذاع ، أو معلومة تحجب .

وبناء على ما سبق نعرض لأهم التكنيكات الإعلامية المستخدمة أثناء إدارة الأزمات الدولية والاعتبارات الخاصة بكل منها فيما يلى :-

١- تكنيك الاعتراف :

عندما تنفجر الأزمة الدولية ، وتنحنى لتدور فى اتجاه عكسى لم يكن

مخططاً له ، ويبدأ توالى الخسائر والمخاطر والتهديدات ، وتدخل القوى التى كانت تنتظر اللحظة المناسبة للانقضاض واغتنام الفرص وتبديل الأماكن وإزاحة المنافسين ، وتعجز الوسائل والأدوات عن درء الخطر ومواجهة الخصوم ، وتكشف الأحداث عن التقصير وسوء الاستعداد والتخطيط ، وتتناثر الاتهامات عن المسئولين عما آلت إليه الأمور ، ويحين موعد حصاد الحسابات الخاطئة ومواجهة المسئوليات ، فى هذه اللحظة قد تعجز التكنيكات كما عجزت الأدوات عن مواجهة الوضع القائم ، وإعادة ترتيب الأوراق ، حيث يسرى الارتباك فى كل التفاصيل ، وقد تؤدى المحاولات المتعجلة للتخفيف من وقع الوضع الراهن إلى المزيد من الخسائر فى وقت لا يحتمل ذلك .

وهنا يبرز تكنيك خاص لوقف التداعى المتلاحق ، وتشخيص الحالة الراهنة ، وهو تكنيك " الاعتراف " ، حيث يضعف استخدام تكنيكات أخرى مثل التبرير والهجوم المضاد والدفاع ، فكل هذه التكنيكات قد تزيد من إبراز حالة الضعف والتهاوى ، وتزيد الاتهامات بالتقصير للطرف الذى يستخدمها أكثر مما تحسن موقعه فى الأداء ، أما تكنيك الاعتراف فهو يتمتع بمزايا عديدة حيث يساعد على زيادة مصداقية الطرف الذى يستخدمه ، ويمثل أساساً لاستعادة الثقة مما يتيح الفرصة للانطلاق من جديد ، كما يساعد على تقليل الضغوط الجماهيرية والإعلامية الواقعة على هذا الطرف ، حيث يغلق الاعتراف العديد من أبواب الاتهامات والشكوك ومحاولات الإدانة ، كما أن هناك إحساساً إنسانياً خاصاً يدفع دائماً للوقوف إلى جانب الطرف الأضعف ، أو على الأقل تخفيف الهجوم عليه ، خاصة إذا تحدث بمصداقية وتحمل الأعباء ... وتجدر الإشارة إلى أنه مما يزيد من فاعلية استخدام هذا التكنيك ألا يكون التكنيك الوحيد المستخدم فى هذه الحالة ، وإنما يجب أن يرافقه تكنيكات أخرى مثل " تصحيح الأوضاع " ، فالاعتراف وحده لا يكفى ، وإلا بدا هروباً من هجوم استدعته

لحظة ضعف ، وليس اعترافاً بالمسئولية عن إصلاح واقع أصابه الوهن فى مقتل .

وقد كان استخدام الرئيس عبد الناصر لتكنيك الاعتراف فى أعقاب حرب ١٩٦٧ استخداماً مثالياً ، فقد جاء فى خطابه يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ ما يلى : " ولا نستطيع أن نخفى على أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة، لكنى واثق أننا جميعاً نستطيع – وفى مدة قصيرة – أن نجتاز موقفنا الصعب ، وإن كنا نحتاج فى ذلك إلى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية ، ومقدرة العمل المتفانية لكننا نحتاج قبل ذلك إلى نظرة على ما وقع ، لكى نتتبع التطورات وخط سيرها فى وصولها إلى ما وصلت إليه ".

ثم بدأ الخطاب فى إلقاء نظرة على الأحداث بدءاً من مايو ١٩٦٧ ، وصولاً إلى ما انتهت إليه الأزمة ، حتى وصل الخطاب إلى إعلان تحمل المسئولية عما حدث عندما قال :

" نصل الآن إلى نقطة هامة فى هذه المكاشفة بسؤال أنفسنا : هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسئولية فى تبعات هذه النكسة ؟ وأقول لكم بصدق – وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة – فإننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها ، ولقد اتخذت قراراً أريدكم جميعاً أن تساعدونى عليه ، لقد قررت أن أتنحى تماماً ونهائياً عن أى منصب رسمى وأى دور سياسى ، وأن أعود إلى صفوف الجماهير ، أؤدى واجبى معها كأى مواطن آخر " .

وفى شهر يوليو التالى ، وبمناسبة عيد ثورة ٢٣ يوليو ، واجه الرئيس عبد الناصر الجماهير للمرة الأولى منذ الحرب فى خطاب جديد ، استخدم فيه مرة أخرى " تكنيك الاعتراف " وأعقبه مرة أخرى بإعلان تحمل المسئولية :

" يجئ إلينا هذا العيد الخامس عشر لثورة يوليو ١٩٥٢ ، ونحن نعيش

فى أزمة لا نغالى إذا قلنا أنها من أقسى ما واجهنا فى تاريخ عملنا الثورى ... ولست أريد الآن أن أتحدث عن الأسباب ولا أرضى لنفسى ولا لهذا الشعب ، أن نقوم والمعركة ما زالت مستمرة بتوزيع المسئوليات ، هذا موضوع يملكه تاريخ شعبنا ونضاله ، ولكنى أستطيع أن أقول راضياً وبطيب خاطر ، وبضمير مستعد للحساب فى أى وقت ، أنه مهما كان ويكون ، فإن المسئولية أولاً وأخيراً يجب أن تقع علىَّ ، ولقد قلت ذلك فى خطابى إلى الأمة فى يوم ٩ يونيو الماضى ، وأقوله الآن وسوف أظل اقوله متحملاً جميع نتائجه ، راضياً بأى حكم يترتب على ذلك ، ولقد كان هذا دافعى فى حقيقة الأمر إلى قرار التنحى فى ٩ يونيو ، كنت أريد أن أتحمل المسئولية وأمضى " .

٢ – تكنيك المعاناة :

فى ٢٠٠٤/١١/١٣ أذاع الصحفى الأمريكى كيفن سايتس Kevin Sites المراسل بقناة NBC News شريطاً مصوراً حول قتل جنود المارينز الأمريكيين لمقاتل عراقى جريح فى مسجد بالفلوجة بالعراق ، كما أرسل لفرقة البحرية التى كان ينتقل معها رسالة يشرح فيها أسباب إذاعته للشريط قال فيها : " عندما كان الرجل العراقى الموجود فى المسجد يشكل تهديداً كان عدوكم ، وعندما كان مستسلماً كان مسئوليتكم ، وعندما قتل أمام عينى وأمام آلة التصوير خاصتى ، فإن قصة موته أصبحت مسئوليتى أنا " ... إنها لحظة " الضعف الإنسانى " التى قد تملك من التأثير مالا تملكه القوة الطاغية ، والتى تستطيع أن تمنح من يعانى قوة ومنطقاً وتبريراً مهما كان ضيق نطاق قدرته ، معتمدة على ما للتأثير الوجدانى من دوام أكبر .

وإذا كانت ذروة الأزمة الدولية نقطة صدام بين قوتين ، فإن فقد إحدى القوتين لفاعليتها يجعل استمرار الطرف الآخر فى تفعيل قوته محل إدانة لانعدام

ما يبرر ذلك ، ويصبح الحضور الإنسانى أقوى من حضور القوة ، ويصير الإمعان فى الانسياق نحو مزيد من العنف ليس رغبة فى الحسم ، وإنما رغبة فى التنكيل وهو ما لا يقره الكثيرون حتى من هم فى صف مالك القوة ومستخدمها ، وهنا يصبح قرار إيقاف استخدام القوة أهم من قرار إطلاق استخدامها .

لقد كانت لحظات المعاناة الإنسانية مصاحبة بشكل دائم للأزمات الدولية، فقد كانت دافعا للتدخل الدولى أحياناً كما حدث فى البوسنة والهرسك لوضع حد للفظائع التى ارتكبت فيها ، كما كانت سبباً فى انقلاب الرأى العام الأمريكى على الإدارة الأمريكية فى حرب فيتنام حين نشرت الصور الصحفية والموضوعات الصحفية الانتهاكات الإنسانية من قبل الجيش الأمريكى ، وقد كانت دليل إدانة لسوء استعمال القوة .

وأثار الغزو الأمريكى البريطانى للعراق عام ٢٠٠٣ مناقشات واسعة النطاق حول أخلاقيات الصور الصحفية ، وقد بدأت هذه المناقشات مع الأيام الأولى للغزو حول مخالفة العديد من الصحف للمعايير الأخلاقية المتعارف عليها والخاصة بضرورة عدم التوسع فى نشر الصور المؤلمة للضحايا والمصابين ، وضرورة احترام صور القتلى ... واهتم الجانب العراقى باستخدام الصور الصحفية لإثبات المعاملة غير الإنسانية من جانب القوات الأمريكية والبريطانية للأسرى العراقيين ، والتقط بعض المصورين صوراً لجنود عراقيين قتلوا رغم أنهم كانوا يحملون علماً أبيض يشير إلى استسلامهم ، كما التقط مصورون إخباريون للقوات الأمريكية والبريطانية فى العراق مشاهد استسلام وأسر جنود عراقيين بعضهم فى أوضاع مهينة ، وقد عرضت هذه الصور على نطاق واسع فى الولايات المتحدة ودول أخرى .

ولم تتصاعد حدة الانتقادات الأمريكية إلا حين نشر العراقيون صوراً

ومقابلات مقتضبة مع خمسة جنود أمريكيين يرتعدون خوفاً بعد أسرهم فى جنوب العراق ، وعرضهم جثثاً غطتها الدماء لثمانية من رفاقهم ، فأعلنت الولايات المتحدة أن ما حدث يعد مخالفاً لمعاهدة جنيف بشأن الأسرى ، ولما يؤدى ذلك من حساسية لعائلاتهم ، وفى مقابل هذا التناقض أعلنت جمعية أمريكية للدفاع عن حقوق الإنسان أن واشنطن ليست فى موقف يسمح لها بالمطالبة بمراعاة معايير معينة بالنسبة للأسرى الأمريكيين ، مشيرة إلى أن الإدارة الأمريكية لا تراعى هذه المعايير بالنسبة للأسرى من عناصر " طالبان " المعتقلين فى قاعدة " جوانتانامو " الأمريكية دون محاكمة لأكثر من عام ، وقال مايكل راتنر رئيس المركز الأمريكى من أجل الحقوق الدستورية إن الولايات المتحدة ليست فى وضع قانونى أو أخلاقى يسمح لها بالاحتجاج على الإذلال الذى تعرض له الأسرى الأمريكيون فى العراق وطالب الحكومة الأمريكية بالتخلى عن ازدواجية المعايير .

وقد تجددت المناقشات مرة أخرى حين قررت وزارة الدفاع الأمريكية نشر صور جثتى عدى وقصى نجلى الرئيس العراقى السابق صدام حسين بعد أن لقيا مصرعهما على يد القوات الأمريكية ، حين صدم الكثيرون لدى عرض هذه الصور ثم ما كان من المشهد المؤسف لإعدام الرئيس صدام حسين ، وأشار المحللون السياسيون أن نشر الولايات المتحدة لهذه الصور يجعلها تسلك نفس أسلوب النظام العراقى السابق الذى أثار لديهم انتقادات واسعة عندما عرض صور ومقابلات مع أسرى أمريكيين خلال الأيام الأولى للحرب ، كما أشار البعض إلى أن عرض هذه الصور يمكن أن يسفر عن نوع من العداء والسخط والرغبة فى الانتقام وأيضاً المعاملة بالمثل ، كما أنها تظهر قدراً من عدم الاكتراث بطبيعة العادات والتقاليد العربية التى تأبى عرض صور الموتى ، وأيضاً عدم الاكتراث بالتقاليد العسكرية العريقة التى تلتزم باحترام جثمان

الخصم ، ولعل ذلك هو ما دفع عدد من الصحف ذات التقاليد إلى نشر هذه الصور فى الصفحات الداخلية وليس فى الصفحات الأولى احتراماً لمشاعر الرأى العام واتساقاً مع الحس الإعلامى المتحضر .

٣- تكنيك تحويل الاتجاه :

من أصعب الحالات فى إدارة الأزمات الدولية أن يكون الجمهور معارضاً لقرارات معينة ، وأن يستهدف صناع القرار تحويل هذا الاتجاه المعارض إلى مؤيد ، حيث يحتاج ذلك وقتاً طويلاً قد لا يكون متاحاً ، ويحتاج إلى أدلة وقرائن وحجج اقناعية تساعد على هذا التحويل ، وألا يشعر الجمهور أنه يتم دفعه قسراً أو يتم خداعه حتى لا يفقد الباحث عن ذلك مصداقيته ، كما يجب أن يكون السياق السياسى والإعلامى لهذا التحويل متماسكاً ومقنعاً ومستمراً ، وألا تطرأ عوامل أخرى تفقده فاعليته ، بل لابد من إضافة قوى دفع جديدة باستمرار لزيادة فاعلية محاولة تحويل الاتجاه .

وتعد تجربة الرئيس الأمريكى روزفلت والتى استطاع فيها تحويل اتجاه الرأى العام الأمريكى من الموقف المعارض لدخول الحرب العالمية الثانية إلى موقف مؤيد من التجارب السياسية الرائدة فى هذا الصدد ، فقد قامت سياسة الولايات المتحدة منذ بداية عشرينيات القرن التاسع عشر على ما عرف حينها بمبدأ مونرو أو مبدأ الحياد ، وهو إعلان أطلقه الرئيس الأمريكى جيمس مونرو سنة ١٨٢٣ ونص على ضرورة عدم مد الدول الأوربية نفوذها الاستعمارى نحو أمريكا ، وعلى التزام الولايات المتحدة من جانبها بعدم التدخل فى المشكلات أو العلاقات الأوربية .

إلا أن هذا المبدأ ما لبث أن تم التخلى عنه بعد قرن من إقراره حيث تبنى الرئيس وودرو ويلسون (١٩١٣ – ١٩٢١) الدعوة إلى الدخول فى غمار

الحرب العالمية الأولى ومع أن أهمية التمسك بمبدأ مونرو ظلت تتردد فى الأوساط السياسية الأمريكية ، إلا أن مجئ فرانكلين روزفلت إلى الرئاسة (١٩٣٣ – ١٩٤٥) قضى على هذا المبدأ ، حيث استطاع تحويل الرأى العام الأمريكى حيال الشئون الخارجية من العزلة والحيادية ومقاومة التورط فى الشئون الأوربية (عام ١٩٣٧) ، إلى حيث أصبحت الولايات المتحدة متأهبة لدعم وتوفير المساعدة والمعونة لبريطانيا فى قتالها ضد ألمانيا (عام ١٩٤٠).

ففى شهر أكتوبر ١٩٣٧ ، حذر روزفلت الأمريكيين من انعدام الشرعية الدولية التى اعتبرها وباءً ينبغى وقفه ، وهنا كانت اللغة غامضة إلى حد بعيد، ولم يكن هناك ما يشير إلى التورط فى الشئون الأوربية أو الانحياز ، وفى عام ١٩٣٨ و ١٩٣٩ استطاع روزفلت أن يخاطب الرأى العام الأمريكى بكلمات أقوى .

ومع الغزو الألمانى لبولندا فى سبتمبر عام ١٩٣٩ استطاع أن يروج لسياسة التسليح بالدفع والتحميل ، وبمقتضاه تبيع أمريكا السلاح للحلفاء دون أن تتورط فى الحرب ، وهو ما يتماشى مع الاتجاه السائد للبلاد وهو تقديم الدعم للحلفاء دون الاشتراك فى الحرب .

وفى نهاية عام ١٩٤٠ كان إفلاس بريطانيا التام ، وفى حينها كان الرأى العام الأمريكى مهيئاً لاقتراح روزفلت بخطة أمريكية بإرسال السلاح لبريطانيا كقرض يسدد بعد الحرب ، وفى ظل ذلك كان هناك مؤشر لرأى أمريكى معارض بشدة يتمثل فى المواطنين الذين كانوا يعتقدون أن القتال فى أوربا ليس له طائل وأن على روزفلت أن يحتفظ بالسلاح من أجل الدفاع عن الوطن الأمريكى .

وفى ٢٩ ديسمبر ١٩٤٠ ألقى روزفلت ما اعتبر أهم خطبه كرئيس

للولايات المتحدة بعد خطابه السابق فى مارس عام ١٩٣٣ ، ولقد عكف روزفلت وفريق العمل المكون من أربعة من الكتاب ليل نهار على تحرير أفضل العبارات ، وفى خطابه إلى الأمة أعلن أنه كان من المحال وضع حد لهتلر ، وأضاف : " ليس فى طاقة أى إنسان أن يحول النمر إلى هر يربت على جسده ، لقد كان انتصار الحلفاء أمراً ضرورياً من أجل الأمن الأمريكى ، وكانت شعوب أوربا الحرة فى حاجة إلى السلاح وإن على أمريكا أن تكون الترسانة العظمى للديمقراطية " ، لقد كان الخطاب نصراً كبيراً ، وتجمع المواطنون فى لندن حول أجهزة الراديو يهتفون ويهللون لسماع كلمات روزفلت ، ورفع خطاب " ترسانة الديموقراطية " - كما أطلق عليه - عدد الأمريكيين الراغبين فى مساعدة بريطانيا من نسبة ٥٠ بالمائة إلى ٦٠ بالمائة ، واستمع ستة وسبعون فى المائة من الأمريكيين لخطاب " ترسانة الديموقراطية " لروزفلت مما يعد رقماً قياسياً فى الإنصات لخطاب للرئاسة ، وفى هذا اليوم حدث هبوط فى عدد الذاهبين للمسارح ، وفى غضون ثلاث سنوات فى ظل الاقناع خطوة بخطوة ، حول روزفلت الشعب الأمريكى من المعارضة إلى الرغبة فى مساعدة بريطانيا ودعمها أثناء الحرب ثم دخول الولايات المتحدة نفسها فى الحرب (هارى ميلز ٢٠٠٢ : ٢٢٩ - ٢٣٠) .

٤- تكنيك التصعيد :

يبرز استخدام هذا التكنيك خاصة فى مجال " الإدارة بالأزمات " حين تتكامل الأداة الإعلامية مع الأدوات الأخرى السياسية والعسكرية والقانونية والاقتصادية فى دفع الأزمة نحو ذروتها ، من خلال استراتيجية للنشر الإعلامى المستمر والمكثف عن إجراءات متصاعدة تستهدف إيجاد الوضع المستهدف للأزمة ، وقد تتمثل هذه الإجراءات فى كشف بعض الملفات والأوراق التى لم

تعلن من قبل ، أو توجيه انتقادات مستمرة لتصعيد موجة إدانة دولية للخصوم ، أو ممارسة ضغوط مثل الحصار ، أو العقوبات الاقتصادية ، أو حظر الطيران، أو التهديد بالملاحقة الدولية لبعض صناع القرار فى الدولة المستهدفة .

ويستهدف تكنيك التصعيد من استخدام هذه الممارسات الضغط على الخصم للتراجع عن موقف معين ، أو الاستجابة لبدائل حل الأزمة ، أو إرسال رسائل تحذيرية لتغيير موقف ما .

وقد كان تكنيك التصعيد أحد التكنيكات الرئيسية التى استخدمتها الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس رونالد ريجان للضغط على الحكومة الليبية فى الأزمة الدولية بينهما والتى استغرقت أغلب سنوات الثمانينات ، وكما قال سول لينوفيتز مبعوث الرئيس كارتر إلى الشرق الأوسط فى حديث صحفى " أن معاملة إدارة ريجان للرئيس القذافى كانت حالة واضحة " لإدارة الأخبار " ، فلقد وجدت الإدارة أنه مما يلائم هدفها أن تجعل ليبيا تبدو باعتبارها بعبع الشرق الأوسط ، ورمزاً للإرهابى الشرير " ، ولقد بدأت إدارة ريجان تحريك الأحداث التى سوف تؤدى إلى الصراع مع القذافى وهى لا تزال فى أيامها الأولى من منصبها ، وقد انتهت ليبيا إلى أن تدفع ثمن إحباطات الإدارة فى التعامل مع الإرهاب فى لبنان ، وفى سوريا ، وفى إيران .

وفى إطار هذا التصعيد كان من النادر أن يمر أسبوع بدون قصة إخبارية رئيسية تنتقد القذافى يكون مصدرها الإدارة الأمريكية ، وكما كشف لارى سبيكس المتحدث السابق باسم البيت الأبيض أن الإدارة الأمريكية حاولت التأثير على الأحداث الخارجية ، وتشكيل مضمون النشر فى الداخل ، وأن أكثر شئ جدير بالذكر هو تلك الجهود التى تضمنت محاولة لتلقيم وسائل الإعلام بوقائع ملفقة عن الحكومة الليبية ورئيسها ، وفى نفس الإطار أكد الرئيس ريجان أنه أجاز حملة سرية لتشويه المعلومات ضد القذافى تستهدف "جعله يذهب إلى

فراشه كل ليلة وهو يتسأل عما قد نفعله " (ر. جريجورى نوكس ١٩٩٥ : ٦٧ – ٧٥) .

٥- تكنيك حافة الهاوية :

يستهدف تصعيد الأزمة الدولية مع الحيلولة دون وصولها إلى حالة الحرب ، وقد اقترن باسم جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكى فى الخمسينيات الذى يقول عن حافة الهاوية : " عليك أن تنتهز الفرص من أجل السلام كما تنتهز الفرص من أجل الحرب ، ذلك أن القدرة على الوصول إلى هذه الحافة بدون الدخول فى حرب هى الفن الضرورى ، وإذا لم تستطع أن تتقنه فإنك حتماً تدخل فى حرب ، وإذا حاولت أن تهرب ، وإذا كنت خائفاً من الوصول إلى الحافة ... فإنك ضائع ! " (محمود فوزى ١٩٨٧ : ١٤٨) .

ويبدو جوهر هذا التكنيك فى تصعيد الأزمة تصعيداً ينذر بخطر الانفجار من خلال تحريك الجيوش ، والتهديد بالحرب ، وتصعيد الهجوم الإعلامى ، وقطع العلاقات ، وهو ما يضع الطرف المستهدف فى زاوية حرجة للغاية ، تضطره إلى التعامل بمرونة أو التنازل أو اتخاذ موقف جديد من شأنه إرضاء الطرف المصعد للأزمة ، وعلى ذلك يعتمد هذا التكنيك على تقدير نقاط الضعف لدى الخصوم ، ولا يمكن أن يأتى هذا النوع من التصعيد بدون حساب دقيق من قبل الطرف المتبنى لعملية التصعيد لما قد يترتب على هذا الأداء ، فقد يجازف الطرف المقابل ويدخل فى صراع فعلى ، ولا يعير أهمية لكل ألوان التصعيد التى كان من المنتظر أن تؤدى دورها بنجاح .

وينظر دائماً إلى أزمة الصواريخ الكوبية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى كمثال لاستخدام تكنيك حافة الهاوية فى حدها الأقصى ، حين أصبح العالم على شفا حرب نووية بين الدولتين ، باستخدام أساليب التهديد والحصار

والاغراءات والقنوات السرية وحشد الرأى العام العالمى والاستخدام الإعلامى المكثف والرسائل المتناقضة ... وفى ذروة هذه اللحظة ، حدث تراجع متزامن من الدولتين حين وافق الرئيس السوفيتى خروشوف على سحب صواريخه من كوبا مقابل تعهد الولايات المتحدة بعدم غزو كوبا ، وسحب صواريخها من تركيا ، وهكذا تبددت احتمالات المواجهة النووية التى خيمت على العالم بأسره طوال الأيام الصعبة التى استغرقتها الأزمة .

٦- تكنيك الهجوم :

امتلاك القدرة على توجيه الضربة الأولى لا يكفى ولا يعنى انتصاراً فى الأزمات الدولية ، وإنما من الضرورى امتلاك القدرة على مواجهة رد الفعل التالى لها ، ومعاودة الهجوم مرة ثانية وثالثة والصمود حتى حسم الأزمة وفقاً لما كان مقدراً لها ، فالخصوم أيضاً يملكون قدرة الفعل وردوداً للأفعال ، وإذا لم تدرس قدرات الخصوم على هذا وذاك ، فلا جدوى من هجوم وسط الضباب .

وعلى ذلك فعندما يتقرر أن يكون الهجوم هدفاً فى حد ذاته لابد من دراسة متغيرات تحقيقه لغاياته ، من توفير المبررات المشروعة للهجوم ، وإعداد الطاقات اللازمة لتحقيق الهدف ، وتهيئة المناخ الدولى ، وضمان حشد التأييد الداخلى والخارجى ، ودراسة قدرات الخصوم ، وشتى الاحتمالات الواردة ، والأهم التوقف عن الهجوم حيث يجب التوقف دون التمادى تحت إغراءات تفوق القوة ، حتى لا يتحول ارتداد الهجوم إلى دليل إدانة واتهام بالحماقة السياسية والتسرع حيث لا ينبغى .

ولا يجب الاعتقاد بأن مجرد امتلاك القوة المفرطة فى مواجهة ضعف الخصم يمكن أن يكون مبرراً للهجوم ويمكن أن يحسم المواجهة ، فالهجوم لايستخدم إلا حين لا يكون هناك مفر من استخدامه ، فقد تكون القوة المتأنية

أكثر جدوى وأقل خسائر من محاولة اختبارها فى أزمة تحمل دائماً فى طياتها إحتمالين ، وتقدم الأزمات الدولية العديد من الأمثلة على أن امتلاك القوة وانتزاع فرصة المبادرة بالهجوم – رغم أهميته – لا يكفى ، فقد فشل هجوم بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر عام ١٩٥٦ ، والهجوم الأمريكى الكاسح على فيتنام ، والاجتياح السوفيتى لأفغانستان ، وغزو العراق للكويت ، ولم يفلح نجاح الضربة الأولى فى ضمان القدرة على السيطرة على الأزمة ، حيث انتهت كل الأزمات السابقة على نقيض ما بدأت به لضعف تقدير قيمة المتغيرات الأخرى المواجهة ، والاستهانة بقدرة الخصوم على تنظيم قدراتهم المحدودة بمتغيرات أكثر فاعلية .

٧- تكنيك الهجوم المضاد :

تكنيك يستخدم كمحاولة إيجابية للتخفيف من وقع هجوم الأزمة ، بتحويل الوضع الدفاعى إلى وضع يملك زمام الهجوم العكسى ، بتحطيم الجوانب الأساسية التى اعتمد عليها الخصوم فى هجومهم السابق ، ودفعهم إلى زاوية رد الفعل ، وبذلك يشكل هذا التكنيك محاولة لإعادة صياغة العلاقة بين أطراف معادلة الأزمة الدولية .

ويحتاج هذا التكنيك إلى دراسة متأنية لكيفية تحويل اتجاه الهجوم ، وتحديد هدف الهجوم المضاد ، وإيجاد البراهين والأدلة القوية التى تجعله يمثل هجوماً مبرراً ومنطقياً ، وليس مجرد رغبة فى تخفيف الضغط بالبحث عن عدو، خاصة أن الموقف الذى يشكل الحالة التى تستدعى فكر الهجوم المضاد قد يحمل انتقادات عديدة لأسلوب التقاط إشارات الإنذار ، وقصور الاستعداد المسبق مما أدى إلى وقوع الأزمة ، ولذلك يجب ألا يتضمن هذا التكنيك أى ادعاءات ، أو اتهامات ، أو معلومات غير مؤكدة بشأن الخصوم حتى لا تفسر

المحاولة على أنها هروب من تحمل المسئولية والالتزام بإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه .

وقد لجأت الإدارة الأمريكية عقب أحداث ٩/١١ إلى استخدام تكنيك "الهجوم المضاد" على الفور ، ويذكر بوب وودوارد الصحفى الأمريكى البارز فى الواشنطن بوست فى كتابه " بوش فى حرب " Bush in War أن الإدارة الأمريكية ليلة ٩/١٢ وبعد أن أمضت ساعات طويلة مع الاختلافات والتناقضات والاتهامات المتبادلة بين الأطراف ، توصلت إلى مطالب عاجلة فرضتها الضرورات إزاء توترات تزداد حـــدة فى مشاعر الرأى العام الأمريكى وحتى لا يتفاقم تأثيرها ، وأهمها ضرورة " تصدير " هذه الصدمة المفاجئة إلى خارج الولايات المتحدة بسرعة ، لأن شحنة الغضب بعد ما جرى لا يجب أن تظل محصورة فى الداخل ، لأن ذلك كفيل بتوليد شحنة ساخنة يصعب التنبؤ بخطرها أو السيطرة على اتجاه حركتها ، وضرورة البحث عن عدو خارجى محدد تلقى عليه المسئولية ، لأنه بوجود هذا العدو يسهل تحويل شحنة الغضب القادم بعد قوة الصدمة وبعد ترويع المفاجأة وبعد وجع الحزن إلى بعيد ، كما أنه بوجود هذا العدو فإن تعبئة شاملة ضده تستطيع أن تستوعب المشاعر وتضمها فى إطار محدد يلم شملها ، ويمسك بالشارد والجامح منها ، ويعطى الفرصة لتوظيفها (محمد حسنين هيكل ٢٠٠٣ : ٢٠٥) .

٨- تكنيك التهديد :

تكنيك ذو شق هجومى ، قد يستخدم ضمن تكنيكات دفع الأزمة نحو ذروتها ، وقد يستخدم كمحاولة أخيرة للحل قبل انفجار الموقف ، لذا تتعدد أهدافه وإن كانت كلها تأخذ طابعاً شبه هجومى ، فقد يستهدف تحذير الخصوم للتراجع عن مواقفهم الحالية ، أو كوسيلة ضغط للنظر فى البدائل المطروحة ،

أو للتعجيل بالاستجابة والتوقف عن استهلاك الوقت ، وقد يستهدف إعداد المسرح الدولى للهجوم من خلال إظهار الجهد المبذول فى المحاولات الأخيرة رغم تعنت الأطراف المناوئة .

وقد يستخدم تكنيك التهديد كرد فعل موازٍ على تهديد مماثل ، فعندما هدد الإسرائيليون دمشق يومى ٩- ١٠ يونيو ١٩٦٧ اتصل السوفيت بالرئيس الأمريكى جونسون ، وأبلغوه عزمهم على بذل ما فى وسعهم بما فى ذلك استخدام القوة لو اقتضى الأمر لوقف تقدم القوات الإسرائيلية نحو دمشق ، وعلى الرغم من تأكيد جونسون للسوفيت بأنه سوف يجبر إسرائيل على الالتزام بوقف إطلاق النار ، إلا أنه أمر بتحريك الأسطول السادس نحو الشواطئ السورية كإشارة حازمة للسوفيت بأن الولايات المتحدة لن تتراجع أمام تهديداتهم (عباس العمارى ١٩٩٣ : ١٨٨) .

ومن المهم عدم اللجوء إلى استخدام تكنيك التهديد ما لم يستند إلى قدرات حقيقية ، وأن تتوافر النية والإرادة على استخدام هذه القدرات ، وأن يقتنع الخصوم بوجود هذه القدرات وبالاستعداد لاستخدامها لو اقتضى الأمر ، وإلا تحول التهديد إلى نقطة ضعف يمكن أن يستغلها الخصوم فى إشعال الموقف كرد فعل يبدو منطقياً فى إطار الدفاع عن الذات ، ويصعب على من لجأ إليه تبرير موقفه ، أو اتخاذ أى خطوة من شأنها تعديل الأوضاع لصالحه ، حيث ستلقى كل النتائج والأعباء على عاتقه لتسببه من البداية فى تعقيد الموقف وتهديد المصالح الاستراتيجية للخصوم مما منحهم حق مشروع فى الرد .

٩- تكنيك الشهادة :

بدءاً من مرحلة التقاط إشارات الإنذار ، ومروراً بما يليها من مراحل ، حتى مرحلة استيعاب دروس الأزمة ، يبرز تكنيك الشهادة كأحد التكنيكات

الفعالة فى إدارة الأزمات الدولية بما يقدمه من أقوال واعترافات وأدلة على المواقف المختلفة وأوضاع الأطراف المتصارعة ، حيث يحاول كل طرف المبالغة فى مقدرة أدواته وقدرته على التأثير فى إدارة الأزمة ، والتقليل من قدرة الطرف الآخر على مواجهته ، كما تحاول الأطراف الأخرى التأثير على حجم النتائج وقيمتها إعمالاً لمصالحها وأدوارها ، وحفاظاً على صورتها لدى الجماهير ، واستباقاً لما يقوم به الآخرون فى هذا الشأن ، خاصة فى هذا العصر الذى أصبح من الصعب أن يبقى فيه السر محجوباً لفترة طويلة .

وهنا تصبح الشهادة إحدى أدوات التعزيز خاصة إذا جاءت من شخصية تتمتع بمكانة بارزة ومصداقية عالية ، أو إذا جاءت من بين صفوف الخصوم لتعترف بقوة فعل الآخر وتقر به ، بدلاً من أن تحاول التقليل من شأنه كما هو متوقع ، ليبدد واقعاً موجوداً ويخلق واقعاً مغايراً .

وقد كانت حرب ١٩٧٣ حالة خاصة فى الأزمات الدولية التى استدعت الاستخدام الإعلامى لتكنيك الشهادة ، خاصة الشهادات الإسرائيلية لتقنع الكثيرين بأن الحرب قد شهدت تحولاً استراتيجياً ، وأقرت واقعاً جديداً لم يكن موجوداً ، وأن مصر قد حققت انتصاراً لم يكن متصوراً خاصة بعد الهالة التى أحاطت بالعسكرية الإسرائيلية عقب حرب ١٩٦٧ ، لذلك فقد شهد الإعلام العالمى نشراً موسعاً لشهادات موثقة للعديد من القادة السياسيين والعسكريين الإسرائيليين الذين أقروا بالإنجاز المصرى فى الحرب ... ومن بين الشهادات الإسرائيلية المتعددة برزت أربع شهادات ، الأولى كانت لموشى ديان وزير الدفاع الإسـرائيلى يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ حين وجد بعد عودته من زيارته لجبهة القتال طلباً من رؤساء تحرير الصحف الإسرائيلية يرجونه أن يجتمع بهم لكى يعرفوا الصورة لمجرد العلم وليس للنشر ، وقال ديان " إن الموقف على الجبهة الشمالية – سوريا – قد تم تثبيته ، وإن الجزء السيئ منه قد انتهى ، أما على الجبهة الجنوبية – سيناء –

فإن الموقف مختلف حيث أن القتال يمكن أن يطول ، ومن الصعب جداً أن يتم أى نوع من السيطرة على الموقف فيها خلال الأيام العشرة القادمة ، وأضاف أن المصريين لديهم سلاح بلا نهاية ، وإنه شئ مذهل وإنه لمن المخيف أن يحارب المرء فى مثل هذا الوضع ، وإنه لا يستبعد تقدم الجيش المصرى لاحتلال آبار البترول فى أبو رديس ، بل إنه فى استطاعة المصريين الوصول إلى شرم الشيخ " ، ولم تنشر وقائع هذا اللقاء إلا يوم ١٥ فبراير ١٩٧٤ فى صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية بعد حصولها على إذن رسمى من رئيسة الوزراء الإسرائيلية وذلك فى إطار الصراع بينها وبين ديان (محمد حسنين هيكل ١٩٩٣ : ٣٩٨) .

أما الشهادة الثانية فكانت لجولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية فقد ذكرت فى مذكراتها عن يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ " كان يجب على فى صباح يوم الجمعة هذا أن استمع إلى إنذار قلبى واستدعى الاحتياطى وآمر بالتعبئة ، إن هذه الحقيقة – بالنسبة لى – لا يمكن أن تتمحى ، وليس هناك أى عزاء فيما قد يقوله أحد أو فى كل التهدئة والتحجج بالعقل الذى حاول زملائى تهدئتى به ، ليس المهم هو ما يمليه المنطق ، المهم هو أننى أنا التى تعودت على إصدار القرارات والتى أصدرتها فعلاً خلال الحرب ، قد فشلت فى اتخاذ هذا القرار ، وليست المسألة شعوراً بالذنب ، إننى أنا أيضاً أستطيع أن احتكم إلى العقل وأقول لنفسى أنه فى مواجهة مثل هذا اليقين الكلى من جانب مخابراتنا العسكرية – والقبول الكلى بقدر مساو لتقديراتها من جانب أبرز رجالنا العسكريين – فإن إصرارى على الأمر بالتعبئة كان سيبدو أمراً غير مقبول ، لكننى أعلم أنه كان على أن أفعل ذلك ، وسوف أحيا بهذا الحلم المفزع بقية حياتى ، ولن أعود مرة أخرى نفس الشخص الذى كنته قبل حرب يوم كيبور " (جولدا مائير ١٩٧٩ : ٣١٩) .

أما الشهادة الثالثة فقد جاءت فى مذكرات آريل شارون قائد قوات ثغرة الدفرسوار والتى نشرها فى صحيفة "دافار " الإسرائيلية بمناسبة مرور عام على حرب ١٩٧٣ ، وقال فيها متحدثاً عن الثغرة : " من أخطر فترات الحرب ليلة ١٧/١٦ أكتوبر ويوم ١٧ أكتوبر بعد مرور ٣٦ ساعة على عبور مجموعتى إلى الضفة الغربية للقناة ... كانت قواتى قد خاضت معارك ضارية ازدحمت بسببها أرض القتال بجثث جنودى المبعثرة هنا وهناك ، والتى بلغ عددها حوالى ٣٠٠ جثة ... بينما تحولت مركباتنا إلى أكوام من الفحم " ، ويضيف شارون : "أنه فى نفس اليوم بدأ المصريون يطوقوننا ويغلقون كافة المنافذ فى وجوهنا ... وتوقفت قوات كبيرة لنا فى الشرق عاجزة عن التسلل إلى الغرب " .

أما الشهادة الرابعة فقد جاءت فى تقرير لجنة تحقيق شكلت فى إسرائيل وعرفت باسم " لجنة أجرانات " نسبة إلى رئيسها الدكتور شمعون أجرانات رئيس المحكمة العليا فى إسرائيل ، وقد بحثت اللجنة أوجه القصور التى أدت إلى هزيمة القوات المسلحة الإسرائيلية فى حرب يوم كيبور أو يوم الغفران ، وركزت كثيراً على قصور المعلومات وفشل جهاز المخابرات الإسرائيلى ، باعتباره الجهة المسئولة عن المعلومات السليمة الضرورية لاتخاذ أى قرار سليم، ونوهت اللجنة بأن " العدو " قد استطاع تضليل جيش إسرائيل ومفاجأته تحت قناع مناورات الخريف المزعومة واختتمت اللجنة تقريرها – الصادر فى أول أبريل ١٩٧٤ – بالقول : لقد واجه الجيش الإسرائيلى فى يوم كيبور تحدياً من أصعب التحديات التى يتعرض لها أى جيش نتيجة للوضع الخطير الذى كان قائماً عندما بدأت الحرب ، وبسبب الأخطاء التى ارتكبت فى تلك الجولة" (طه المجدوب ١٩٩٩ : ٢١٥ – ٢٣٤) .

١٠– تكنيك الإنكار :

" أية أراضٍ محتلة ؟! ... إذا كنت تعنى يهودا والسامرا وقطاع غزة ،

فهى أراضٍ محررة ، وجزء مكمل لأرض إسرائيل " ... هكذا أجاب مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى فى مؤتمر صحفى فى مايو ١٩٧٧ بعد ثمان وأربعين ساعة من فوزه فى الانتخابات ، مستخدماً " تكنيك الإنكار " لنفى صفة الاحتلال ومواجهة ما حواه سؤال صحفى وجه إليه من اتهام .

فقد تلجأ بعض أطراف الأزمات الدولية إلى استخدام تكنيك إنكار وقوع بعض الأحداث ، أو ارتكاب بعض الأعمال لتبرئة ساحتها الدولية ، ولإدراكها أن الفعل الذى أقدمت عليه يمثل إدانة تنال من منطقها ومبرراتها ومصداقيتها ، وإذا امتلك الطرف المقابل دليلاً واضحاً على عدم صحة هذه المزاعم ، هنا يتحول استخدام هذا التكنيك إلى استخدام سلبى للغاية حيث يهدم كل قواعد الثقة للطرف الذى بادر باستخدامه .

وفى أحيان أخرى قد تلجأ بعض أطراف الأزمة الدولية إلى اتباع تكنيك الإنكار لنفى وجود أزمة دولية أصلاً ، سعيا للتهدئة ومنعاً للصدام وإبداءً لحسن النوايا أو لإعطاء الفرصة لوسائل أخرى كى تؤتى نتائجها بعيداً عما تحدثه المواقف المعلنة والضغوط الإعلامية والتدخلات الدولية من تعقيدات ، وعلى الرغم مما قد تمثله هذه المبررات لدى البعض ، إلا أن إتباع " تكنيك الإنكار " كتوجه مستمر قد يؤدى إلى عدم القدرة على التقاط إشارات الإنذار التى تهدد المقومات الثابتة للدولة ، وعدم دراستها فى الوقت الملائم لمواجهتها قبل أن تتحول إلى خطر داهم ، يضع مستخدم هذا التكنيك فى موقف رد الفعل المتأخر بما يحمله ذلك من مخاطر وتهديدات يصعب تداركها لضياع الوقت المناسب .

وقد أثبتت العديد من الأزمات الدولية الضعف الشديد فى فاعلية استخدام تكنيك الإنكار ، وتحوله إلى سلاح عكسى حين يثبت عدم صحة ادعاءاته ، ففى ١٨ أبريل ١٩٩٦ هاجمت قوات الدفاع الإسرائيلية جنوب لبنان ، وحين اتخذ عشرات المدنيين ملجأ لهم فى مركز مراقبة الأمم المتحدة فى بلدة قانا ، قذفت

إسرائيل هذا الملجأ موقعة عشرات الضحايا من المدنيين ، وأعلن الإسرائيليون فوراً أن ما حدث كان خطأ ، وقال جنود الأمم المتحدة أنهم شاهدوا طائرة إسرائيلية بلا طيار تحلق فوق قانا قبل الهجوم وأثناءه ، وعلى الفور أنكر متحدث إسرائيلى وجود أى طائرة فى المنطقة ، غير أنه بعد وقت قصير من الهجوم ، قُدم شريط فيديو عليه صورة صوتية مرئية التقطتها قوات الأمم المتحدة النرويجية ، أظهرت الطائرة الإسرائيلية وهى تحلق فى الجو ، ويصاحبها صوت القذائف المتفجرة فى مجمع الأمم المتحدة وقد اشتعلت فيه النيران ، وحاولت إسرائيل استخدام تكنيك الإنكار مرة أخرى بادعاءها أن هذه الطائرة كانت تقوم بمهمة مختلفة ، ولكن الأمم المتحدة قامت بإجراء تحقيق فى هذا الحادث أثبت أنه استناداً إلى شريط الفيديو وشهادة شهود العيان بمن فيهم الإسرائيليين أن القصف لا يمكن أن يكون قد وقع نتيجة خطأ فنى وأن إسرائيل تتحمل المسئولية كاملة (بطرس غالى ١٩٩٩ : ٢٩٧ – ٢٩٩) ، وعندما أعلن تقرير التحقيق أحدث ضجة سياسية عالمية مدوية حيث كشف بما لا يدع مجالاً للشك كذب كل المحاولات الإسرائيلية ، وعدم جدوى محاولاتها بالهروب خلف حائط الإنكار .

١١- تكنيك إثارة مخاوف الجمهور :

تتسم الأزمات الدولية بوجود درجة عالية من التهديدات والمخاطر والتوترات التى تنتاب أفراد الجمهور ، ولذلك تستهدف بعض التكنيكات استغلال البناء النفسى للأفراد لتحقيق أهداف معينة ، ويعتبر تكنيك إثارة مخاوف الجمهور من التكنيكات الشائعة فى هذا الصدد ، حيث يركز على إبراز الأخطار أو النتائج غير المرغوبة إذا لم يستجب المتلقى لتوصيات الرسالة الإعلامية .

ويحكم استخدام تكنيك إثارة مخاوف الجمهور عدد من القواعد من أهمها

أن اقتراب المخاوف والتهديدات من المتلقى شخصياً يزيد من حالة التوتر ، وهو ما يضفى على التهديد معنى ذاتياً ، كما يرتبط كذلك بالاقتراب الزمانى ، فاحتمال الحدوث لا يعطى أثراً واضحاً مثل الحدوث الفعلى ، حيث يميل الفرد إلى تجاهل التخويف حتى تظهر مؤشرات واضحة وقريبة بالخطر ، يضاف إلى ذلك أن هناك علاقة ارتباط عكسية بين قدر التخويف والاستجابة إلى توصيات الرسالة ، لأن المبالغة فى تخويف الجمهور قد تثير التحدى لدى المتلقى ، أو تجعله يتجنب الرسائل التى تشير إلى ذلك ، ويلعب وضوح الرسالة الإعلامية دوراً فى إمكانية تنفيذ توصياتها ، وكلما كانت التوصيات فى حدود قدرات الجمهور وإمكانياته كلما كان من السهل تنفيذها والالتزام بها (محمد عبدالحميد ٢٠٠٤ : ٣٩٨) .

ولا يزال استخدام تكنيك إثارة المخاوف بشأن أمن إسرائيل هو التكنيك الأشهر الذى يستخدمه صناع القرار فى إسرائيل رغم تفوقها العسكرى واحتلالها لأراضى عدة دول عربية ، وفى هذا الإطار تذكر جولدا مائير فى مذكراتها "أن الشك لم يخالجنى ولو للحظة أن هدف الدول العربية كان وما زال هو تدمير دولة إسرائيل ، لقد ادعى الحكام العرب أن هدفهم هو الوصول إلى خطوط ٤يونيو ١٩٦٧ ، لكننا نعلم جيداً أن هدفهم الحقيقى هو إخضاع دولة إسرائيل كلية، وواجبنا أن ندرك الحقيقة بكل خطورتها حتى يمكننا الاستمرار فى تعبئة أنفسنا ، وتعبئة كل الموارد اللازمة من الشعب اليهودى لكى نهزم الذين يهاجموننا " (جولدا مائير ١٩٧٩ : ٣٣٠ -٣٣١) .

وفى نفس السياق يذكر الصحفى الأمريكى كريس هيدجيز Chris Hedges فى كتابه " الحرب قوة تعطينا معنى " أن حكومة بوش لجأت بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ إلى استخلاص مكاسب سياسية هائلة لنفسها من قوة الدفع المفاجئة لهذه الأحداث ، بخلق شعور بأن الولايات المتحدة

فى حالة حرب ، ليلتف الشعب حول رئيسه – الذى فاز بانتخابات الرئاسة بفارق ضئيل للغاية – ولذلك حرصت حكومة بوش على استمرارية ودوام حالة سيكولوجية الحرب ، بما يجعل استغلالها لهذه الحالة أمراً سهلاً وممكناً ، وتدريجياً تحول القتال ضد تنظيم القاعدة فى أفغانستان إلى حرب عالمية على الإرهاب .

ويضيف المؤلف بأن الحرب قد تعطى معنى لأهدافنا ، وليس مسموحاً فيها بظهور الشكوك أو التردد حول عدالة موقف الدولة من دخولها الحرب ، ولا أن تغطى على الاقتناع بأننا فى جانب الصواب ، وأن الآخرين يمثلون الخطأ ، وهنا تتولى الدولة ووسائل الإعلام رسم أسطورة الخير والشر ، وهى أسطورة مهمة جداً، لأن الحرب فى معظم الأحيان تكون من أجل السلطة والغنيمة ، ولا يمكن جعل الناس يتبعون قادتهم ، ويقاتلون ويموتون لو كانت الحقيقة ظاهرة للعيان ، ويشير كريس هيدجيز إلى أنه تشكل منذ الحادى عشر من سبتمبر مناخ نفسى سيطر على الشعب الأمريكى ، حيث عمل الرئيس بوش ومجموعته على استغلاله فى شحن عقول الرأى العام للتقوقع داخل زاوية ضيقة، يضعف عندها حساب الأمور بالمقاييس التقليدية ، وتغيرت الحسابات لتصب فى ناحية واحدة وهى الأمن وما يحيطه من مخاوف بصرف النظر عن فشل أو نجاح سياسة الرئيس داخلياً وخارجياً ، ولما كان من المعروف أن الأمريكيين فى وقت الحرب لا يغيرون الرئيس باعتباره القائد الأعلى ، فقد كثفت الإدارة الأمريكية الأحاسيس بأن أمريكا فى حرب ، وأعلن بوش نفسه : "إننى رئيس زمن الحرب" ، وأعطى للحرب على الإرهاب أولوية على أى بند آخر من بنود السياسة الخارجية ، وكلما كانت الأنظار تتجه نحو أداءه السياسى وفشل سياساته كانت شعبيته تتراجع ، فينفخ من جديد نفير الحرب وتستثار

مشاعر الرعب ، فترتفع شعبيته مرة ثانية فى استطلاعات الرأى (C. Hedges 2003) .

١٢- تكنيك التعتيم :

على الرغم من أن الوظيفة الأساسية لوسائل الإعلام هى تزويد الجمهور بالمعلومات ، إلا أن وسائل الإعلام قد تتعمد اللجوء إلى " التعتيم " بإخفائها للمعلومات لتحقيق أهداف متعددة ، فقد تلجأ إلى تكنيك التعتيم فى إطار التوجه السياسى والعسكرى الذى يستهدف حجب المعلومات التى يؤدى نشرها إلى إضعاف الروح المعنوية وتماسك الجبهة الداخلية وتهديد التأييد الداخلى لصناع القرار ، وقد تلجأ إليه انتظاراً لتغيير أوضاع معينة فى الأزمة ، أو لتقليل ضغوط الرأى العام تجاه النتائج والتطورات التى تحدث ، أو بسبب سرية المعلومات فى وقت ما ، أو كمحاولة لخداع العدو ، وإيجاد منطقة معلوماتية مظلمة لديه .

وقد يرجع إخفاء المعلومات إلى ما قد يسببه نشرها من خلاف أو حرج لطرف ما يمثل محوراً جوهرياً فى إدارة الأزمة ، أو لما قد يسببه ذلك من حرج لتورط الدولة نفسها فى أفعال يمثل نشرها إدانة لها ، أو خروجاً على السياسة المعلنة التى تنتهجها ، أو الصورة الدولية التى تبتغى تدعيمها .

وما زال " لتكنيك التعتيم " مكانة بين التكنيكات الإعلامية أثناء الأزمات الدولية على الرغم من صعوبة حجب المعلومات لفترات طويلة ، فى ظل المتابعة المستمرة والمتلاحقة لوسائل الإعلام والرأى العام لتطورات الأحداث الدولية ومواقف الأطراف المتعددة المشاركة فيها وتعدد الأهداف والتصريحات والآراء ووجهات النظر ، حتى فى ظل قوانين سرية المعلومات التى يصدرها العديد من دول العالم .

وقد كان حادث السفينة الأمريكية " ليبرتى " Liberty فى حرب ١٩٦٧ ومحاولة إغراقها فى البحر المتوسط من أهم وأشهر أحداث الأزمات الدولية ، والتى حاولت الإدارة الأمريكية اتباع تكنيك التعتيم وإخفاء المعلومات بشأنها ، ففى ٨ يونيو ١٩٦٧ قصفت الطائرات الإسرائيلية وبشكل متعمد السفينة ليبرتى والتى كانت متخصصة فى التجسس وفك الشيفرة ، وقد أدت الغارة إلى مقتل ٣٤ بحاراً أمريكياً وإصابة ١٧١ آخرين بجراح ، ويقال أن الهدف من قصف السفينة كان إغراقها حتى لا تعرف الولايات المتحدة نوايا إسرائيل فى الهجوم على سوريا ، حيث يبدو أن الخطة الأمريكية – الإسرائيلية بشأن سوريا لم تكن دقيقة ومحددة ، ولم يكن متفقاً إلى أى مدى يمكن للقوات الإسرائيلية أن تتقدم بعد احتلال الجولان ، كما يقال أن السفينة رصدت مذبحة إسرائيلية ضد الأسرى المصريين وأن هذا الرصد هو سبب الهجوم ، وفور وقوع الهجوم على السفينة ادعت إسرائيل أن الحادث غير متعمد ، وأنها اخطات فى التعرف على السفينة – رغم أن الناجون أشاروا إلى وجود ثلاثة أعلام أمريكية على ظهر السفينة – وانتهى الأمر فى وقتها عند هذا الحد .

ولكن فى تقرير كشف عنه النقاب عام ١٩٨٥ لمجلس استخبارات السياسة الخارجية ، أكد عضو المجلس كلارك كليفورد Clark Clifford أن الهجوم على ليبرتى كان متعمداً بنسبة مائة فى المائة ، وأن الرئيس جونسون كان مؤمناً بأن الحادث متعمد وأن فترة الهجوم التى استمرت ٧٢ دقيقة كانت كافية لمعرفة هوية السفينة ، ولكن إسرائيل كانت تريد محو كل أثر للسفينة (احمد سليم البرصان ٢٠٠٠ : ٧٥) ، وأضاف تقرير للجنة تحقيق مستقلة صدر عام ٢٠٠٣ أن الهجوم على السفينة ليبرتى هو الحادث البحرى الوحيد الذى لم يجر فيه الكونجرس تحقيقاً عميقاً ، وفى عام ٢٠٠٣ أصدر الصحفى الأمريكى بيتر هونام كتاباً بعنوان "العملية سيانيد" Operation Cyanide قال فيه أن

عناصر سرية داخل الحكومتين الأمريكية والإسرائيلية قررت قصف السفينة وإلقاء اللوم على مصر وحلفائها السوفيت ، لتبرير رد فعل كاسح يضمن النصر لإسرائيل (P. Hounam 2003) .

وبعد أربعين عاماً من وقوع الحدث وفى مؤتمر صحفى عقد بمبنى الكونجرس الأمريكى قام الكابتن المتقاعد وارد بوسطن الذى تولى التحقيق العسكرى فى حادث إغراق السفينة الأمريكية ليبرتى بتوزيع شهادة مكتوبة قدمها للكونجرس ووزعها كبيان للنشر ، وذكر بوسطن فى شهادته أن الرئيس الأمريكى السابق ليندون جونسون وروبرت ماكنمارا وزير الدفاع فى ذلك الوقت أصدرا تعليمات بالإعلان عن أن الحادث وقع بطريق الخطأ ، وأعلن بوسطن أن الرئيس السابق قد طلب النص على أن الحادث قد وقع نتيجة خطأ فى التحقق من جنسية السفينة وذلك على الرغم من وجود أدلة واضحة تفيد غير ذلك ، وأشار بوسطن إلى أنه قد اضطر إلى التزام الصمت لسنوات عديدة لأنه رجل عسكرى وكانت مهمته تنفيذ الأوامر، وذكر أنه اضطر مؤخراً إلى إعلان الحقيقة بعد أن قام أنصار إسرائيل بنشر كتاب يؤكد أن ضرب السفينة وإغراقها كان مجرد حادث غير مقصود .

وقد أوضح بوسطن فى شهادته المكتوبة أن الطائرات الأمريكية قد منعت من الهجوم على الطائرات الإسرائيلية التى استهدفت السفينة وتم تأخير عمليات الإنقاذ ، وأوضح أن إسرائيل كانت تريد إغراق السفينة تماماً وليس مجرد الهجوم عليها وأن السفينة هوجمت أيضاً من البحر وليس من الجو فقط لمنع عمليات الإنقاذ .

وقد وصف الادميرال توماس مورر رئيس أركان الجيش الأمريكى السابق والذى حضر المؤتمر الصحفى عملية إغراق السفينة ليبرتى بأنها " أكبر عملية تضليل وإخفاء للمعلومات " وكان الادميرال قد أمضى عاماً كاملاً لبحث

الحقيقة وراء إغراق ليبرتى بعد أن شكل لجنة مستقلة من القيادات العسكرية الأمريكية السابقة .

ومما يذكر أن الادميرال توماس مورر قد سبق وأعلن قبل هذا المؤتمر الصحفى بسنوات طويلة أن هذه الجريمة لم يتم الحديث عنها لأن الرئيس جونسون خشى رد فعل اليهود نظراً لتأييدهم الانتخابى ، وأضاف قائلاً " كان سيجن جنون الشعب الأمريكى إذا عرف حقيقة ما حدث " (إسرائيل شاحاق وآخرون ٢٠٠٣ : ٢٩٣) .

١٣- تكنيك التضليل :

يذكر الجنرال " نورمان شوارتزكوف " قائد قوات التحالف ضد العراق فى حرب الخليج الثانية لتحرير الكويت فى مذكراته أنه فى يوم ١٩٩٠/١٢/١٩ عُقِد مؤتمر صحفى بالرياض للمراسلين المصاحبين لوزير الدفاع الأمريكى "ديك تشينى" ، حضره الجنرال " كال والر " نائب قائد قوات التحالف وكان قليل الخبرة بالصحافة ، وحين حاصره المراسلون مراراً بأسئلة عن مدى جاهزية القيادة المركزية ، أخبرهم أن القوات البرية لن تكون مهيئة قبل منتصف فبراير، وعلى الفور تصدر هذا التصريح مانشتات الصحف ونشرات الأخبار لتناقضه مع تصريحات الرئيس الأمريكى جورج بوش ، وظل " بيت وليامز " رئيس قسم الإعلام فى وزارة الدفاع وأغلب العاملين معه ساهرين ليزيلوا الضرر الناجم عن ذلك ، وفى صباح اليوم التالى أصدر تصريحاً لفت فيه الأنظار إلى أن القوة الجوية والبحرية جاهزة للهجوم المباشر ، وعندما وصل " ديك تشينى " و "كولن باول " رئيس هيئة الأركان المشتركة إلى مقر القيادة بعد ساعة من ذلك ، أخبرهما " شوارتزكوف " أن الجنرال " والر " يشعر بالمرارة من الصفعة التى سببها المؤتمر الصحفى ، ودهش " شوارتزكوف " لعدم إبداءهما أى قلق ، بل

أضاف " ديك تشينى " : " ليس من السيئ دائماً أن يرسل المرء للعدو إشارات متناقضة " (نورمان شوارتزكوف ١٩٩٢ : ١٠٠) .

ويأتى دفع هذه المعلومات المتناقضة فى إطار تكنيك التضليل الذى يستهدف إيجاد حالة من عدم الرؤية المميزة للوقائع ، وخلخلة الإدراك الصحيح للأحداث والمعلومات المقدمة ، ذلك أن الإدراك هو حالة وعى يقظ ، وهو حساسية للواقع تسبق الفعل ، وبالتالى فإذا ما ضعف الوعى فإن إدراك المرء للخطر يتضاءل ، أو يتأجل ، أو يشوش ، كما أن استعداده لمواجهة هذا الخطر يتعرض للاضطراب مما يجعله هدفاً سهلاً للخصوم ، وهذا ما تستهدفه استراتيجية التضليل من خلال تقديم معلومات كاذبة لا أساس لها من الصحة ، أو محرفة ، أو متضاربة ، أو أنصاف حقائق ، أو إبراز وجهة نظر واحدة وإغفال وجهات نظر أخرى ، أو المبالغة فى تقدير أشياء والتهوين فى تقدير أشياء أخرى .

ولكى يؤدى التضليل الإعلامى دوره بفاعلية لابد من إخفاء أدلة الواقع الحقيقى المناقض لما يتم إرساؤه ، أى أن التضليل يكون فعالاً عندما يتم الإبدال إلى الحد الذى يجعل الجمهور لا يدرك سوى الواقع المزيف على أنه الحقيقة ، وهنا تكون فصول الكارثة ... قد اكتملت .

١٤- تكنيك الكذب :

سلسلة طويلة من الأكاذيب ساقتها الإدارة الأمريكية تسويقاً وتبريراً لشن حربها على العراق عام ٢٠٠٣ ، لكنها لم تنجح فى منحها شرعية الغزو ، بدءاً من قصة محاولة العراق للحصول على يورانيوم من النيجر والتى أطلقها جورج دبليو بوش فى خطابه عن حالة الاتحاد ، ثم اعترف البيت الأبيض نفسه وبعد أن قامت الحرب بأن هذه المعلومة لم تكن صحيحة ، ثم أكذوبة امتلاك العراق

لأسلحة الدمار الشامل ، وأكذوبة قدرة العراق على استخدام أسلحة الدمار الشامل خلال ٤٥ دقيقة ، وأكذوبة امتلاكه للأسلحة البيولوجية ، وأكذوبة امتلاكه للصواريخ طويلة المدى ، كل هذه الأكاذيب وغيرها أفقدت الإدارة الأمريكية شرعية حربها قبل أن تبدأ حيث لم تقدم أى دليل عليها ، مما أثر سلبياً على مصداقيتها فى إدارة أى أزمة دولية قادمة ، وجعلها فى موقف دفاعى يكتنفه الشك دائماً ، ليس فى الأفعال فقط ولكن أيضاً فى النوايا .

فرغم ما يقال بأن كل شئ مباح فى الحرب ، وأن استخدام الكذب مشروع فى إطار استراتيجية خداع الخصم ، وتبرير الأهداف بشرط عدم القدرة على اكتشافه ، إلا أنه يمثل اتجاهاً حرجاً يمكن أن يقلب الأوراق السياسية والإعلامية كلها ، عندما تثبت أطراف أخرى عدم صحته وبأدلة دامغة ، مما يؤدى إلى إثارة الشك فى القرارات والأدلة والمعلومات التالية لذلك ، خاصة فى الأزمات الدولية التى يمكن أن تستغرق فترة زمنية قصيرة ، ويصبح استرداد المصداقية خلالها من الأمور الصعبة ، وهو ما يمثل قيمة مضافة تزيد من فاعلية الخصوم إذا أحسنوا استخدام هذا الضعف .

وقد أدى الاستخدام الإسرائيلى لتكنيك الكذب فى حرب ١٩٧٣ إلى كارثة ، حيث امتدت موجة الشك إلى أجهزة الإعلام الإسرائيلية نفسها ، بعد أن فقد الإسرائيليون الثقة فى العديد من المسلمات وأجهزة الحكم والقادة على حد تعبير " يوئيل ماركوس " الذى كتب فى صحيفة "هآرتس " بعد الحرب : " لقد خدعنا ولم تذكر لنا الحقائق ... والأسوأ من هذا أن أحداً من المسئولين لم يخبرنا بالحقيقة ، الأمر الذى يدعونا إلى الشك فى كل ما يجرى ، فمنذ اليوم الأول للقتال بدأت حملة من التشويش والإخفاء والتضليل والكذب ، لقد شاهدنا الأعلام المصرية ترفرف فوق خطوطنا شرقى القناة ، ولكن عبر شاشات التليفزيون الأردنى ! .

وعندما كان الناطق العسكرى الإسرائيلى يتحدث فى الأيام التالية للحرب عن التحول ، وعن الهجوم المضاد ، وعن قواتنا التى تبيد العدو المصرى ، كان بالإمكان – وفى نفس الوقت – الاستماع إلى راديو القاهرة فى كل ساعة وهو يذيع فى برنامجه العبرى تفاصيل الكارثة التى حلت باللواء ١٩٠ المدرع ، وأسر قائده الكولونيل عساف ياجورى ! ، وفى اليوم الذى تفاخر فيه معلقنا العسكرى بأن سلاحنا الجوى قد قام بتدمير كافة الجسور والكبارى المصرية عبر القناة ، أعلن مندوبو الصحافة العالمية الذين كانوا يرافقون القوات المصرية أن ثمانين ألفاً من الجنود المصريين تساندهم مدرعاتهم قد عبروا – ولا زالوا يعبرون – فوق تلك الجسور والكبارى التى دمرها سلاح الجو الإسرائيلى !! " (محمد فيصل عبد المنعم ١٩٨٤ : ٣٤٤ – ٣٤٥) .

١٥– تكنيك تكثيف المعانى :

فى عام ١٩٤٦ كان تشرشل قد فقد رئاسته للوزارة فى بريطانيا فى العام السابق ، بعد أن عانت حكومة المحافظين التى كان يرأسها من هزيمة ساحقة فى الانتخابات ، وأراد تشرشل تحذير العالم من انتشار الشيوعية السوفيتية ، لكنه كان يخشى ألا يستمع الأمريكيون إلى رئيس حزب معارض ، ثم سنحت الفرصة لتشرشل لمخاطبة الأمريكيين حينما تمت دعوته لإلقاء خطاب فى ولاية ميسورى ، ووجد أن عليه أن يرسم صورة حية توضح ما يحدث ، وفى أثناء رحلته بالقطار متجهاً إلى ميسورى ، أمعن تشرشل النظر فى خريطة لأوربا لكى يبرز انتشار الشيوعية ، ورسم خطاً بقلم أسود يمتد من بحر البلطيق عبر بولندا إلى بحر الأدرياتيك ، وأعاد على الخط مرة أخرى ليفكر فى البحث عن صورة صحيحة يصف بها خطر السوفيت ، وفى الثانية صباحاً وافاه الإلهام بالكلمة الصحيحة التى سرعان ما أضافها تشرشل إلى خطابه ... وفى اليوم

التالى ألقى تشرشل الكلمات التى يمكن أن تستنفر الولايات المتحدة وتثيرها لإتخاذ أى إجراء فقال " من بولندا إلى بحر البلطيق إلى يوغوسلافيا فى بحر الأدرياتيك ... قد أسدل ستار حديدى عبر القارة " ، وعلى الفور أصبحت الصورة البلاغية " الستار الحديدى " إحدى الصور المحفزة للحرب الباردة ، وحينما تولى ماو تسى تونج عام ١٩٤٩ حكم الصين تغيرت الكلمة إلى " الستار البامبو " (هارى ميلز ٢٠٠٢ : ١٢٩ – ١٣٠) .

إنها براعة استخدام اللغة ... فوسط الآراء المتعددة والعبارات المتدفقة ووجهات النظر المختلفة والاتهامات المتبادلة والأدلة التى تحاول إثبات نفسها والمحاولات المضادة للتشكيك فيها ، يبحث صناع القرار عن تكنيك يختزل المعانى فى كلمات قليلة ويكثف مدلولاتها ، وعن طريق تكرار استخدامها يمكنها أن تشكل قوى مؤثرة فى الهجوم ، وقادرة عن الدفاع عن نفسها وإزاحة ما يخالفها ، وهنا تبرز الاستخدامات البلاغية من تشبيهات واستعارات وكنايات وتوكيدات ودلالات واستفهامات مجازية وكل ما من شأنه تقريب المعنى وتشخيص الآراء المجردة ، فعندما قامت ثورة تشيكوسلوفاكيا فى ربيع ١٩٦٨ أطلق عليها " ربيع براغ " للدلالة على ما تمثله من أمل للشعوب فى التحرر ، حيث طالب القائد التشيكى الكسندر دوبتشك باشتراكية ذات وجه إنسانى ، وكان يستهدف التحرر من موسكو دون قطع الجسور معها ، وعلى الرغم من قمع هذه الثورة بالتدخل السوفيتى العسكرى إلا أن " ربيع براغ " ظل يشار إليه عندما تذكر كل الحركات التى تبتغى التحرر من القبضة الشيوعية ... وعندما قامت حرب ١٩٧٣ أطلق عليها مناحم بيجين – زعيم المعارضة فى إسرائيل آنذاك – " حرب الأبناء " للإشارة إلى العدد الكبير للجنود الإسرائيليين الذين قتلوا فى هذه الحرب وكان معظمهم فى العشرينيات من العمر ... وعندما تولى الرئيس الأمريكى رونالد ريجان الحكم قال فى أول مؤتمر صحفى له عن الاتحاد

السوفيتى إنه إمبراطورية خارجة عن القانون على استعداد لارتكاب أى جريمة كى تصل إلى أهدافها ، وكان هذا التصريح مقدمة لوصفه الشهير للاتحاد السوفيتى عام ١٩٨٣ بأنه " إمبراطورية الشر " .

وبذلك تملك الشعارات والرموز قوة خاصة فى مجال تكثيف المعانى ، وعن طريق التكرار يمكن أن يتكون لديها قوة إقناع لها قابلية أن تتحول إلى سياسة ، ومن عملية إعلان تبدو سطحية ومؤقتة إلى عنصر ضغط يمارس سلطانه بقدرة ذاتية قادرة على الحركة والتحريك ، ويمكن تشبيه خطورة الشعارات بكرة الثلج التى تبدأ صغيرة ثم تزداد وهى تتدحرج حتى تملك طاقة لم تكن متصورة عندما سمع صوتها فى البداية (محمد حسنين هيكل ٢٠٠٣ : ٤٨ – ٤٩) .

وعلى الرغم مما تمثله الشعارات من أهمية إلا أنها يمكن أن تتحول إلى قيد يطوق صانعى القرار مما يمنعهم فى بعض الأحيان من اتباع سياسة مرنة ، ومن أكثر الأمثلة فعالية للشعارات التى تشكل تفكير وسلوك جيل " نظرية الدومينو " التى وضعت من قبل الرئيس الأمريكى أيزنهاور ، لوصف البلدان التى يهددها خطر الشيوعية كصف من قطع الدومينو حيث كان أساسها هو الخوف من أنه إذا سقط بلد فى دائرة الشيوعية ، فإن البلدان الأخرى تسقط تباعاً واحدة تلو الأخرى مثل صف الدومينو ، ونتيجة لذلك فقد شعر رؤساء الولايات المتحدة المتعاقبون بضرورة الالتزام بمنع سقوط أى بلد فى الفكر الشيوعى مهما كانت الظروف ، وعندما تولى الرئيس جونسون الرئاسة عام ١٩٦٣ كان مستشاروه يشجعون نظرية أنه إذا أصبحت فيتنام الجنوبية قطعة دومينو أخرى فلابد أن تدعمها الولايات المتحدة ، لقد كانت نصيحة مجازفة بنيت على فكرة خاطئة ، حيث أسفرت عن مصرع ٥٨ ألف أمريكى فى فيتنام وعانت الولايات

المتحدة من أول هزيمة لها فوق أرض غريبة (هارى ميلز ٢٠٠٢ : ١٣١ – ١٣٢) .

١٦- تكنيك الصدمة :

فى ١٩٧٧/١١/٩ وأثناء إلقاء الرئيس السادات خطاباً فى مجلس الشعب استعرض فيه مختلف القضايا المحلية والدولية ، وفى أثناء قراءته ما يتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى ، ترك أوراق الخطاب وبدأ يتحدث مرتجلاً – وهو ما يعد إشارة إعلامية لإلقاءه تعليقاً مهماً – فقال : " فعلاً مستعد أن أذهب إلى آخر هذا العالم ... وستدهش إسرائيل حينما تسمعنى الآن أقول أمامكم ، إننى مستعد أن أذهب إلى بيتهم إلى الكنيست ذاته ومناقشتهم " ... وعبر هذه الكلمات القليلة والمحددة انفجر بركان سياسى وإعلامى معلناً مبادرته التاريخية ، واكتسحت هذه الكلمات العناوين الرئيسية للصحف ووسائل الإعلام الدولية ، ولتمثل فاصلاً حاداً بين كل ما مضى وما هو آت فى هذا الصراع ، الذى لم يعد منذ هذه اللحظة كما كان قبلها بلحظات .

لقد استخدم الرئيس السادات وبحرفية عالية " تكنيك الصدمة " لتحقيق أعلى درجات جذب الانتباه من خلال التحرك فى عكس الاتجاه ، وفى التوقيت غير المتوقع للجميع ، مما يوجد حالة من الاستجابة الإعلامية الشديدة للحدث ، خاصة إذا كان يأتى ضمن أحداث التحولات الكبرى ، وإذا أدير بشكل درامى ، وهو ما يضفى عليه هالة غير محدودة من التأثير والاستقطاب .

وعلى ذلك يعد تكنيك الصدمة تكنيكاً مؤثراً فى الأزمات الدولية الحادة والمعقدة والمتشعبة ، والتى تتداخل فيها أطراف عديدة ، ويبدو فيها الحل مستعصياً ، واحتمالات الانفراج بعيدة ، وتصبح القرارات غير المنتظرة وبعيدة المنال حلاً جراحياً غير تقليدى لأزمة دولية غير تقليدية ، وهو يثير بذلك إعجاباً

غير محدود ، وقد يطلق نقاشاً وخلافاً أيضاً غير محدود ، ولكنه فى كل الاحوال يأتى ليهز ما استقر ، ويعيد النظر فيما ثبت ، ويحرك ما ركد فى مياه الأزمة .

وقد تعمد الرئيس السادات استخدام تكنيك الصدمة أكثر من مرة فى إدارة الصراع العربى الإسرائيلى ، فقد استخدمه فى إنهاء مهمة الخبراء العسكريين السوفيت والتى علق عليها كيسنجر فى مذكراته قائلاً : " اكتشفت بعد ذلك أن السادات يراهن على ما هو أكبر من كل تصوراتنا ، فقد فجر قنبلة نسفت كل هذه التصورات السابقة عنه ، ففى ١٨ يوليو ١٩٧٢ أعلن السادات إنهاء مهمة أكثر من ١٥ ألف خبير عسكرى سوفيتى فى مصر بحيث ينسحبون خلال أسبوع ، وكان هذا القرار مفاجأة كاملة لواشنطن ، كما أصاب قرار السادات موسكو بالارتباك " (حسين عبد الواحد ٢٠٠٣ : ١١٩ –١٢٠) ، ولم يكن قرار السادات بإنهاء مهمة الخبراء السوفيت هو المفاجأة الوحيدة لكيسنجر والإدارة الأمريكية ، فقد كانت المفاجأة الكبرى هى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ... واستمر تكنيك الصدمة مصاحبا للرئيس السادات بعد ذلك حتى فى مفاوضات كامب ديفيد للحد الذى دفع سايروس فانس وزير الخارجية الأمريكى فى عهد الرئيس كارتر أن يقول " إن السادات كان مقتنعاً بأن " تكنيك الصدمة " هو الذى يجعل الولايات المتحدة منشطة والإسرائيليين فاقدى التوازن " (سايروس فانس ١٩٨٤ : ٥٩).

١٧– تكنيك تغيير الجياد :

يقوم هذا التكنيك على فكرة تغيير الجياد التى كانت شائعة فى الغرب الأمريكى ، فقد كان التحرك من منطقة لأخرى عبر القارة الأمريكية الشاسعة يحتاج إلى عربات تجرها الخيول ، وعندما كانت الخيول تصل إلى مرحلة الإجهاد ولا تعود قادرة على مواصلة السير ، كان يتم استبدالها بخيول جديدة ،

قوية ونشطة ، وقادرة على السفر بالعربات لمسافات بعيدة أخرى قبل أن يصيبها هى الأخرى الإجهاد فيتم استبدالها ، وهكذا حتى تصل العربات إلى هدفها المنشود والمحدد منذ البداية .

وعلى هذا يعتمد تكنيك تغيير الجياد فى الأزمات الدولية على محاولة استبدال القوى التى أصابها التعب بقوى أخرى جديدة قادرة على الانطلاق بالهدف مسافة أخرى ، وعلى ذلك يبدو الهدف هو المحور الأساسى للإنطلاق بصرف النظر عن القوى المحركة له نحو نقطة النهاية .

وهنا يبرز المثال الإسرائيلى فى علاقته بالقوى الكبرى منذ نشأة إسرائيل ، ففى البداية كان الاتحاد السوفيتى هو الدولة الأولى التى اعترفت بإسرائيل ، واعتمدت عليه فى البداية ، ثم استبدلته إسرائيل ببريطانيا وفرنسا حين كانتا القوتان العظميان اللتان ما زالتا تملآن الساحة السياسية الدولية رغم بدء بروز الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، واستمر تصاعد هذا التعاون حتى حرب ١٩٥٦ حين تجسد فى اشتراك إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا فى العدوان الثلاثى ضد مصر .

وبمجرد فشل العدوان الثلاثى على مصر عقد بن جوريون اجتماعاً لمجلس الوزراء الإسرائيلى فى ١٩٥٦/١٢/٢٢ ، وذكر فيه " أنه يعيش فى كابوس مرعب يتمنى أن يستيقظ منه ويتأكد أنه مجرد كابوس " ، ثم دخل فى عرض تاريخى لانهيار إمبراطورية الغرب التقليدية فى الشرق الأوسط ، وقال إن بريطانيا وفرنسا انتهيتا بالكامل فى الشرق الأوسط وتحولتا من إمبراطوريتين عظيمتين إلى دولتين عاديتين فى غرب أوربا ، وكان تصرفهما فى حرب السويس هو فصل النهاية فى تاريخهما الامبراطورى .

وفى هذا الاجتماع قال بن جوريون لوزراءه أنه ليس أمام إسرائيل الآن

إلا الولايات المتحدة الأمريكية ، وأضاف " لقد كانوا باستمرار أصدقاءنا ، وكانوا يتعاطفون مع قضيتنا باستمرار وقد أرسلوا إلينا كثيراً من المساعدات ، لكنهم كانوا أصدقاء ، والآن فإن هدف إسرائيل يجب أن يكون تحويل الولايات المتحدة من صديق إلى حليف ، وأن إسرائيل كانت دائماً تحتاج إلى حليف من بين القوى الكبرى ، وقد أثبتت الأسابيع القليلة الماضية أنه لم تعد هناك قوى كبرى فى هذا العالم غير الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، والاتحاد السوفيتى لن يكون حليفاً لنا ولا حتى محايداً بيننا وبين أعدائنا ، وليس أمامنا غير الولايات المتحدة " (محمد حسنين هيكل ملفات السويس ١٩٨٦ : ٥٨٢ – ٥٨٣) ، ومنذ هذه اللحظة انطلقت إسرائيل تستبدل كل القوى القديمة بالولايات المتحدة كقوة عظمى جديدة قوية قادمة لقيادة عالم ما بعد الإمبراطوريات التقليدية .

١٨- تكنيك التجاهل المتعمد :

على الرغم من اهتمام العديد من أطراف الأزمة الدولية بالحصول على دعم الجمهور وتأييده للقرارات والمواقف المختلفة ، وتحرص تحقيقاً لذلك على إمداده باستمرار بالمعلومات الخاصة بتطورات الأزمة ، إلا أن بعض الأطراف قد ترى أحياناً ضرورة عدم نشر بعض المعلومات والأخبار اعتقاداً بأن وصولها إلى الجمهور قد يؤدى إلى ردود أفعال سلبية تعرقل تنفيذ أهدافها ، وقد تحدث تصدعاً فى الرأى العام ، وتوسع دائرة المناوئين ، أو تمدهم بأدلة وبراهين تدعم أسباب معارضتهم .

ويعيب استخدام تكنيك " التجاهل المتعمد " أن الرأى العام يستطيع أن يحصل على هذه المعلومات من مصادر أخرى بل من الخصوم أنفسهم ، مما قد يؤدى إلى إضعاف مصداقية الطرف الذى تجاهلها ، ووضعه فى موضع المدافع

عن نفسه بسبب التجاهل ، ويؤدى إلى تضخيم الأسباب التى دعته إلى هذا الحجب ، وقد يشكك فى نزاهة إدعاءه الحرص على إحاطة الجمهور بكافة التطورات .

وقد شهد العديد من الأزمات الدولية استخدام تكنيك " التجاهل المتعمد " للمعلومات ، فقد كانت حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) أكثر حرب فى التاريخ الحديث تم فيها إحكام مراقبة وضبط وسائل الاتصال والسيطرة عليها ، حيث نجح رجال الإدارة الأمريكية فى السيطرة على الإعلام ، وتمكنوا من أن يقولوا للرأى العام ما يرغبون هم وحدهم أن يعرفه ، وتم تجاهل مواقف القوى المعادية للحرب ، ولم يظهر على شاشات التليفزيون الأمريكى إلا أنصار الحرب ، كما أهملت وسائل الإعلام الأمريكية إهمالاً تاماً موضوع الخسائر البشرية بين المدنيين والتى سببها القصف المستمر ، وحين سئل كولن باول رئيس هيئة الأركان المشتركة عن عدد القتلى العراقيين قال : " أنه رقم لا يثير اهتمامى " ، لقد تم منع أى لقاء بين الدماء والكاميرا بموجب قرار رسمى أمريكى يمنع الصور المتعلقة بالضحايا البشرية من الوصول إلى شاشة التليفزيون ، وحين عرض المصور الأمريكى كين جيركو Ken Jarecho فى ندوة خاصة عقدت بجامعة مينيسوتا فى أبريل ١٩٩١ عدداً من الصور المتعلقة بالقتلى العراقيين ، رفض مكتب الاسوشيتدبرس فى نيويورك بثها إلى مشتركيه، كما رفضت مجلة Time نشرها ، وحين حاول بوب سيمون مراسل شبكة CBS إجراء تحقيق تليفزيونى ، بدا عليه الانزعاج من الرقابة العسكرية المشددة والدور الدعائى الذى ألزم بالقيام به لصالح البنتاجون ، حتى أنه صرح بأن " النظام الحالى يحرمنا من الحصول على الصور الحقيقية التى تبين فظائع الحرب ، ونضع مكانها تحقيقات مسالمة " (اديب خضور ١٩٩٩ : ١١٦ – ١٢٦) .

١٩- تكنيك المصارحة :

فى خطابه أمام الكنيست الإسرائيلى فى ٢٠ /١٩٧٧/١١ قال الرئيس السادات : " إننى لم أجئ لكم لكى أعقد اتفاقاً منفرداً بين مصر وإسرائيل ، فأى سلام منفرد بين مصر وإسرائيل ، أو بين أية دولة من دول المواجهة وإسرائيل لن يقيم السلام الدائم العادل فى المنطقة كلها ، بل أكثر من ذلك فإنه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها وإسرائيل ، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية فإن ذلك لن يحقق أبداً السلام الدائم ... كما أننى لم أجئ إليكم لكى أسعى إلى سلام جزئى بمعنى أن ننهى حالة الحرب فى هذه المرحلة ، ثم نرجئ المشكلة برمتها إلى مرحلة تالية ، فليس هذا هو الحل الجذرى الذى يصل بنا إلى السلام الدائم ... وبكل صراحة فإن عليكم أن تتخلوا نهائياً عن أحلام الغزو، وأن تتخلوا أيضاً عن الاعتقاد بأن القوة هى خير وسيلة للتعامل مع العرب ، إن عليكم أن تستوعبوا جيداً دروس المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع شيئاً ، إن أرضنا لا تقبل المساومة ، وليست عرضة للجدل ... أننى لم أجئ إليكم تحت هذه القبة لكى أتقدم برجاء أن تجلوا قواتكم من الأرض المحتلة ، إن الانسحاب الكامل من الأرض العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ أمر بديهى لا نقبل فيه الجدل ، ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد " .

وفى كتاب " حدث فى كامب ديفيد " يعلق الصحفيون الإسرائيليون الثلاثة مؤلفو الكتاب على ذلك بقولهم : " لقد ساد التوتر قاعة الكنيست ، وكان واضحاً أن السادات لا ينتقى كلماته ، أو يصبغها بطابع المجاملة ، وأدرك الوزراء وأعضاء الكنيست الذين ظنوا أن السادات سوف يقصر خطابه على ما هو إتفاق مشترك أنهم كانوا غارقين فى الوهم " ... ويضيف الصحفيون الإسرائيليون الثلاثة أن " وايزمان " وزير الدفاع الإسرائيلى قد مال على " ديان" وزير الخارجية ووضع أمامه ورقة كتب عليها " يجب أن نستعد للحرب " ، وأن

وجه مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى قد ازداد تجهماً ، وهمس بصوت مسموع " إن هذا يعد إنذاراً " (ايتان هابر وآخرون ١٩٨٦ : ١٣٦ – ١٣٧) .

لقد عمد الرئيس السادات إلى استخدام " تكنيك المصارحة " فى خطابه منذ البداية لتحقيق أهداف عديدة ، فعلى الرغم مما يسود أطراف الأزمة الدولية من شعور بالارتياب ، والشك ، وعدم التصديق ، واللجوء إلى أساليب الخداع ، والمواربة ، وعدم الإفصاح عن كل الأوراق ، إلا أن اللجوء إلى تكنيك المصارحة يبدو مهماً فى بعض الأحيان لتحديد أطر واضحة لا لبس فيها لحل الأزمة ، وإعلان المسلمات ، وتحديد ما لا يمكن التنازل عنه ، والخطوط التى لا يمكن الاقتراب منها ، وإبلاغ الرأى العام الداخلى بالموقف الرسمى سعياً إلى دعمه ، ولتقليل معارضة الأطراف المناوئة .

وعلى الرغم مما قد يسببه استخدام تكنيك المصارحة من مفاجآت ، وإثارة للمخاوف والتوترات الحادة ، وميل للمقاومة والاعتراض ، وصعوبة فى التراجع عما تم إعلانه حتى لا يعد الأمر خسارة أو تفريطاً ، إلا أنه يضفى قوة على وجهة نظر مستخدمه ، ويعكس وضوحاً فى محددات موقفه ، ويوفر الكثير من الوقت الضائع فى المناورات السياسية ، ويقلل من ضبابية الرؤية لدى أطراف الأزمة .

٢٠- تكنيك التجريد من الشرعية :

القانون الدولى هو مجموعة القواعد والمبادئ العامة التى يتعين على الدولة مراعاتها فى علاقتها مع غيرها من الدول ، وتنشأ بعض القوانين الدولية نتيجة عرف يتكون بمرور السنين ، ويرجع أصل بعضها الآخر إلى المبادئ القانونية العامة التى تقرها الأمم المتقدمة ، كما توجد قوانين دولية أخرى يتم الاتفاق عليها فى المعاهدات أو تنشئها الأحكام القضائية .

وتقسم قواعد القانون الدولى عموماً إلى قوانين السلم التى تحدد حقوق الأمم وواجباتها تجاه بعضها البعض فى زمن السلم ، وقوانين الحياد التى تحظر على الدول المتحاربة تحريك قواتها عبر الأقاليم المحايدة وعدم جواز استخدام المياه الإقليمية والموانئ المحايدة فى القتال ، وقوانين الحرب التى تفرض قيوداً محددة على وسائل القتال ، فعلى سبيل المثال لا يجوز قصف المدن غير المدافع عنها وهى التى تسمى بالمدن المفتوحة ، وعلى الغزاة ألا يستولوا على الممتلكات الخاصة دون تعويض ، ولا يجوز قتل الجنود المستسلمين أو الهجوم عليهم ، وإنما يجب أن يعاملوا معاملة أسرى الحرب ، وجميع قوانين الحرب تتعرض للإنتهاك بشكل متكرر ، ففى زمن الحرب تقاتل الأمم من أجل بقائها وليس من الممكن دائماً إلزامها بالتقيد بقواعد القانون ، فكل أمة تعمل بكل طاقتها لتدمير عدوها ، مستخدمة فى ذلك ما تستطيع الحصول عليه من الأسلحة الفتاكة ، فقد انتهكت اليابان القانون الدولى فى سنة ١٩٤١ بهجومها على ميناء بيرل هاربور دون إعلان سابق بالحرب ، وخرقت ألمانيا القانون الدولى أثناء الحرب العالمية الثانية حينما قتلت حكومتها الملايين من الأوربيين وأجبرت عمالاً من دول أوربية أخرى للعمل أرقاء فى المصانع الحربية الألمانية ، وانتهك الاتحاد السوفيتى القانون الدولى برفضه إعادة كثير من أسرى الحرب نهائياً إلى بلادهم بعد إنقضاء فترة طويلة على نهاية الحرب العالمية الثانية ، ورفعت تقارير إلى الأمم المتحدة حول المعاملة الوحشية التى تلقاها كثيرون من أسرى الحرب التابعين للأمم المتحدة على أيدى الشيوعيين الصينيين والكوريين الشماليين خلال الحرب الكورية (١٩٥٠ – ١٩٥٣م) وحرب فيتنام (١٩٥٧ – ١٩٧٥ م).

ونظراً لما يمثله القانون الدولى من دور وتأثير ، فإن كل دولة تسعى إلى إضفاء الصبغة القانونية والشرعية على مواقفها وقراراتها فى الأزمات

الدولية ، بينما يسعى الطرف المناوئ لها إلى استخدام تكنيك " التجريد من الشرعية " لإضعافها ، وإفقادها السند القانونى وبالتالى الأخلاقى الذى يمكن أن تستند إليه فى المواجهة ، ولذلك تدور فى كل أزمة دولية معركة قانونية يعمل فيها كل طرف على إثبات حقه القانونى ، ونزعه عن الطرف الآخر ، لأن الدليل القانونى إذا ثبت يصعب تجاوزه ، أو إنكاره ، أو المزايدة عليه ، أيا كان الموقف المضاد أو المصالح التى يهددها هذا الحق .

ففى أزمة ١٩٥٦ دارت معركة قانونية دولية قبل أن تدور دوامة العدوان الثلاثى ، وتغطى شهادة الأدميرال اللورد " مونتباتن " قائد الأسطول البريطانى فى رسالته إلى انتونى ايدن رئيس الوزراء بعد تأميم قناة السويس وقبل وقوع العدوان جانباً يعكس الاهتمام الكبير بضرورة التعامل مع السلاح القانونى فى المواجهة حيث يقول : " إن الاعتبار الأول فى المواجهة الحالية واحتمالاتها القادمة سوف يرتهن بقدراتنا على تعبئة الرأى العام الدولى إلى جانبنا ، ولدينا ستة أسابيع لتحقيق ذلك ، وناصر أيضاً لديه نفس المدة ، والمأزق الذى نواجهه فى هذه اللحظة هو أن ناصر يتصرف بحرص شديد ، ويضع تصرفه فى إطار من الشرعية القانونية تعطيه ميزة الحرب النفسية الدائرة على كسب ضمير العالم ، وما لم نتصرف بتعقل فإن خشيتى أن تبدو معركتنا ضده وكأنها حرب استعمارية " .

وعلى الجانب الآخر أدرك الرئيس عبد الناصر أهمية التعامل فى إطار القانون الدولى لأزمة السويس ، حيث رأى أن الغرب سوف يركز فى مؤتمر لندن على إبراز الصفة القانونية للقناة ، وتصوير تأميمها وكأنه انتهاك لهذه الصفة ، وتهديد الملاحة فيها حتى يتمكن من وضعها تحت إدارة دولية ، ثم تحويل الرأى العام العالمى ضد مصر ، واتخاذ المؤتمر ومناقشاته وأخباره وسيلة للتعبئة لكى ينفتح الطريق مباشرة من المؤتمر لتدخل عسكرى تقوم به

بريطانيا وفرنسا ، ووفقاً لهذا الأساس حدد الرئيس عبد الناصر العمل المضاد المتمثل فى العمل على انتظام سير الملاحة فى القناة ، وإقناع العالم بالحق المصرى فى تأميمها (محمد حسنين هيكل ملفات السويس ١٩٨٦ : ٤٧٣ – ٤٨٩) .

وبعد أن انتهى مؤتمر لندن إلى طريق مسدود مع مصر ، انتقلت المعركة القانونية فى سلم تصعيدها إلى الأمم المتحدة ، وفى حوار بين د.محمود فوزى وزير الخارجية المصرى وسلوين لويد وزير الخارجية البريطانى فى مكتب " داج همرشولد " سكرتيرعام الأمم المتحدة كان إطار الشرعية القانونية حاضراً بقوة فى المناقشات ، فقد سأل سلوين لويد " لماذا لا تقبلون إحالة الأزمة إلى محـــكمة العدل الدولية أو إلى التحكيم ؟ " ، وكان رد د. محمود فوزى : "إن الأزمة ليست ناشئة عن خلاف بين دول ، وإنما ناشـــئة عن إجراء اتخذته مصر لحقوق سيادتها ، وهو تأميم شركة مصرية ، فكيف نقبل فيه محكمة أو تحكيماً؟!" (محمد حسنين هيكل ملفات السويس ١٩٨٦ : ٥١٩) .

٢١- تكنيك التسريب المتعمد :

فى ١٩٧٢/١٢/١١ وزعت وكالة أنباء يونايتدبرس خبراً فى بروكسل جاء فيه : " ذكر فى تقرير سرى أعده سلاح الجو المصرى ، ووزع فى القاهرة بنسخ محدودة أن ٤٠% فقط من السلاح ، و٦٠ % من الطائرات المصرية المقاتلة فى حالة صالحة ، وأضافت المصادر الدبلوماسية فى بروكسل والتى نقلت التقرير السرى أن العوامل الأساسية المسئولة عن هذا الوضع غير السليم هى الصيانة السيئة ، ونقص قطع الغيار من الاتحاد السوفيتى الذى يزود المصريين بمعظم أسلحتهم ، وأضاف النبأ أنه يتضح أيضاً من التقرير أن مصر فقدت ٥٠ طائرة مقاتلة على الأقل فى التدريبات منذ حرب الاستنزاف ، وحيث

أن مصادر موثوقة قد ذكرت أن مصر تمتلك ٥٢٣ طائرة قبل هذه الحرب ، فمعنى ذلك أن فى حوزتها الآن من ٤٠٠ إلى ٤٥٠ طائرة ، منها ٣٠٠ فقط جاهزة للقتال " (يشعياهو بن – فورات وآخرون ١٩٧٤ : ١٣٥ – ١٣٦) ، وقد أعقب نشر هذا " التقرير العسكرى السرى للغاية " نشر سلسلة من الأخبار والتحقيقات الصحفية فى الصحافة العالمية تؤكد أن الجيش المصرى ليس مهيئاً أبداً للقتال لأسباب خاصة بنقص فى الطيارين المؤهلين ، وانعدام الانضباط ، وإنهاء مهمة الخبراء السوفيت ، وضعف الدفاع الجوى وغيرها من الأسباب ... ونجح تسريب التقرير " السرى للغاية " فى تحقيق ما أراد .

القضية هنا أن التسريب فى كثير من الأحيان يكون " تسريباً متعمداً " مقصوداً لتحقيق أهداف معينة مثل صرف الانتباه عن تحركات عسكرية ما ، أو دفع الطرف الآخر للاسترخاء ، أو لتحذيره من تصعيد الموقف ، أو لإطلاق بالونات اختبار لتوجهات معينة ، أو لإحراج طرف ما ، أو الترويج لاقتراحات معينة ، أو لتضليل الخصوم عندما تتداخل الروايات ويهتز السياق ويملء الضباب الأجواء من أجل ترتيب الأوراق فى اتجاه معين ، بينما يتحول الانتباه إلى اتجاه آخر تماماً .

إن أسلوب تسريب الأخبار المزيفة إلى الصحف ، فى إطار ما يسمى "بالحرب النفسية" مألوف ومعروف فى دول العالم ، ويتطلب تطبيقه إحكاماً كبيراً واستعانة بأدوات متنوعة ، وكثيراً ما يجهل الصحفيون أن المادة المسربة إليهم من " خبراء " أو " مصادر سرية " هى مادة ملفقة وهادفة ، وهكذا يتحول الكثيرون منهم دون أن يدروا إلى أدوات تساعد فى خلق جو من الذعر أو الاستكانة لدى العدو وبحسب المطلوب .

وليس سراً أن أجهزة التجسس تجمع المعلومات التى تنشرها وسائل الإعلام وخصوصاً المعلومات العسكرية ، وتضيفها إلى المعلومات المستقاة من

وسائل أخرى ، وحتى التفاصيل التى تبدو ظاهرياً عديمة القيمة ، تجمع بدقة متناهية لتشكيل صورة كاملة من المعلومات ، وإذا ظهر تناقض بين المعلومات العلنية – المنشورة فى وسائل الإعلام – وبين المعلومات الواردة من مصادر أخرى ، فإن ذلك يستدعى إجراء المزيد من التدقيق والمقابلة والتحقيق من مدى صحة المصادر ، ولكن حتى لو اتضح أن المعلومات العلنية كاذبة أو مضللة والمعلومات السرية أكثر ثقة يجب عدم الاستهانة بالتأثير المتراكم لأسلوب "تشويه المعلومات بقصد التضليل " ، فالمثابرة على استخدام هذا الأسلوب لفترة طويلة تخلق ترسبات لا واعية تشارك فى تقدير الوضع على أساس المعطيات المخابراتية ، وهذا نمط من " غسيل الدماغ " ، ويعد أسلوب الفحص المكرر والموازى هو أحد الأساليب المتبعة للإفلات مما يطلق عليه فى هذه الحالة "مصيدة الحمقى" ، فإلى جانب كل فريق يحلل المعلومات ، يقوم فريق آخر مواز له مهمته بتقييم المعطيات ذاتها واستخلاص نتائج منها بصورة مستقلة عن الفريق الأول ، للحيلولة دون الوقوع فى العثرات والأخطاء (يشعياهو بن – فورات وآخرون ١٩٧٤ : ١٣٨ – ١٣٩).

٢٢- تكنيك الدفاع :

لا ينبغى أن ينصرف الاعتقاد إلى أنه تكنيك رد الفعل ، فقد يأتى ضمن اختبار للقوى ، ومناقشات جس النبض فى الصراع ، والبحث عن نقاط مبدئية للتفاوض ، وتحسس مدى الاستعداد للتنازل عن مواقف معينة ، ولذلك يحتاج تكنيك الدفاع إلى وسائل قوة داعمة ، والى تحديد واضح للهدف ، ومثابرة على تحقيقه ، وتنويع فى أساليبه ، والعمل على مستويات متعددة للتأثير داخلياً ودولياً لشرح الموقف واستقطاب المؤيدين ، والحصول إن أمكن على قرارات دولية تدعم شرعية الموقف .

وفى مفاوضات كامب ديفيد استخدم الرئيس السادات تكنيك الدفاع عن قضيتى الأرض والسيادة بإصرار بالغ ، وهو ما دفع الرئيس الأمريكى كارتر أن يكتب فى مذكراته : " وجاء دور السادات الآن ليعرض وجهة نظره ، ولقد فعل ذلك بهدوء ، وكرر كما فعل فى الليلة الماضية ، بأنه سـوف يكون صلباً لا يلين مطلقاً عند قضيتين إثنتين هما قضية الأرض وقضية السيادة ، وطلب بإن تستعيد مصر كامل أراضيها ، وأن يعترف لها بالسيادة عليها اعترافاً لا لبس فيه، وأضاف أن معنى السيادة عند المصريين يستوجب رحيل جميع الإسرائيليين عن أرضنا " (جيمى كارتر ١٩٨٥ : ٤٤ – ٦٠) ، كذلك لم يكن بمقدور مصر أن تسترد طابا بدون استخدام واع لتكنيك الدفاع المستند إلى أدلة وبراهين وفهم واع لصياغات محكمة فى اتفاقية كامب ديفيد تحدد مسار أى خلاف ينشأ ، وإصرار على العمل مع جهات متعددة ، والاستعانة بكافة الخبرات التى تحقق الهدف ، وعدم إهمال أية تفاصيل ، أو ترك أى شئ للصدفة لإحكام غلق الأبواب أمام أى احتمال فى سوء الأداء ، وهو ما أعلن الإسرائيليون أنهم كانوا يعولون عليه كثيراً ، ولكن يعيب استخدام تكنيك الدفاع فى الأزمات الدولية التى يحسم فيها الوضع فى غير صالح مستخدم هذا التكنيك – كأن يكون قد تلقى هزيمة عسكرية مثلاً – أنه يواجه صعوبة سياسة الواقع المفروض بالقوة ، حيث تلعب المصالح الدولية دوراً فى تأجيل الحل أحياناً أو تجميده أو تطويقه ، وحيث يصعب الوصول إلى حل عادل ما لم يطرأ تغييراً فعلياً على الأرض يغير قواعد إدارة الأزمة ، ويدفع قوى مؤثرة فى مسار استخدام تكنيك الدفاع .

٢٣– تكنيك التهدئة :

فور أن ألقى الرئيس عبد الناصر خطاب التنحى مساء ٩ يونيو ١٩٦٧

تدفق ملايين المصريين إلى الشوارع معلنين رفضهم للقرار فى مشهد وصفته التقارير الإسرائيلية لرصد الأحداث بأنه " مظاهرة هائلة تلقائية " Huge Spontaneous Demonstration ، وتوالت اتصالات الرؤساء ، وبرقيات وكالات الأنباء تنقل مشاعر الصدمة فى شتى أنحاء العالم .

ثم بدأت التقارير ترد من كافة أنحاء مصر بأن جماهير لا تحصى أوقفت قطارات السكك الحديدية واستولت على أكثر من مائة وعشرين قطاراً ، كما استولت على العديد من السيارات وأن زحف هذا كله متجهاً للقاهرة ، وكان تعليق وزارة الداخلية على هذه التقارير أن الأمن فى الصباح سوف يفلت بالكامل إذا لم يطرأ جديد ، وتحت ضغوط شديدة من أطراف متعددة خوفاً من التداعيات التى تحملها الساعات القادمة ، وافق الرئيس عبد الناصر على إذاعة بيان فى منتصف ليلة ٩ – ١٠ يونيو جاء فيه : " إن المشاعر التى أبدتها جماهير الشعب منذ أذعت عليها هذا المساء بيانى عن تطورات الموقف هزتنى من الأعماق ، وسوف أذهب غداً بمشيئة الله وإذنه إلى مجلس الأمة أناقش معه وأمام جماهير شعبنا قرارى الذى أعلنته فى البيان ، وإن كان لى أن أطلب شيئاً فى هذه اللحظات من جماهير شعبنا الصابر المناضل فهو أن أناشدهم الانتظار حتى الصباح ، إن كل واحد منكم الآن يجب أن يكون فى موقعه ، فهناك مهام كثيرة تتصل بواجبات أكبر وأقدس من أى شئ آخر ، ولها الأولوية على ما عداها من الاعتبارات ، إننى أناشدكم جميعاً من أجل الوطن ومن أجلى أن يكون كل منكم الآن حيث ينبغى له أن يكون " (محمد حسنين هيكل ١٩٩٠ : ٨٥٦) ... لقد استدعت هذه " الحالة الخاصة " من ذروة الأزمة استخدام تكنيك لا بديل عنه هو تكنيك " التهدئة " تحقيقاً لهدف خاص فى لحظة خاصة .

وإذا كان أبرز ما يميز الأزمة الدولية تصاعد التوتر لكل الأطراف ومسارات الأزمة ، فإن التهدئة تبدو النقيض الذى تشتد الحاجة إليه سعياً لسيطرة

على وضع ، أو انفراج لمأزق ، أو التقاط للأنفاس اللاهثة وراء التغيرات المتلاحقة ، وبذلك تتعدد الحالات التى تستوجب استخدام التهدئة ، فقد تستخدم لإتاحة الفرصة للبدائل المتعددة كى تؤتى بنتائجها ، أو للرغبة فى منع تدهور الموقف فى اتجاه المواجهة ، أو تهيئة المناخ للخصوم لمراجعة مواقفهم ، أو لإرسال رسائل تعكس حسن النوايا ... ومن المهم أن يبدو بوضوح أن استخدام تكنيك التهدئة لا يأتى هروباً من وضع ضعف لا يحتمل التصعيد والمواجهة ، ففى هذه الحالة قد يمثل موقف الدولة وضعاً مغرياً للاجتياح من جانب الخصوم.

وعلى الجانب الآخر فقد يؤدى عدم ملائمة الظروف الداخلية إلى استخدام تكنيك التهدئة منعاً لتفجير أزمة دولية فى توقيت غير مناسب ، ويرى بعض المحللين أن ذلك هو ما حدث فى إسرائيل قبيل حرب ١٩٧٣ ، فخلال الأيام العشرة التى سبقت الحرب ، كان هناك اتجاه واضح إلى منع أجهزة الإعلام من توجيه أى تحذير ، ومنع نشر الأنباء التى أشارت إلى نية مصر وسوريا للبدء بعمل حربى على نطاق واسع ، حيث كان نشر هذه الأنباء غير مقبول لدى القيادة السياسية فى إسرائيل فى ذلك الوقت ، لأنها كانت فى ذروة معركة انتخابية عنيفة للكنيست يوم ٣١ أكتوبر فقد خاض الحزب الحاكم "المعراخ" – التجمع العمالى – معركته للانتخابات حيث كان أحد بنود الدعاية الرئيسية فيها " الهدوء والأمن " اللذان يسودان إسرائيل وجاءت فى إعلان كبير نشره حزب المعراخ فى الصحف الإسرائيلية تحت عنوان " خط بارليف " : "على ضفة السويس يسود الهدوء ، كذلك أيضاً فى صحراء سيناء ، وفى قطاع غزة ، وفى الضفة الغربية ، وفى الجولان ، الخطوط آمنة ، الجسور مفتوحة، القدس موحد، المستوطنات تقام ، ومكانتنا السياسية راسخة ، هذه نتيجة سياسة متزنة ، مقدامة وبعيدة النظر ... أنت تعلم أن المعراخ وحده هو القادر على أن

يفعل ذلك " ، وبناء على ذلك بذلت جميع الجهود لطمأنة جمهور الناخبين ، لأن إحساس الجمهور الإسرائيلى بحرب وشيكة كان يمكن أن يقضى على حملة الدعاية الانتخابية (يشعياهو بن – فورات وآخرون ١٩٧٤ : ٧٣ – ٨٠) .

٢٤- تكنيك المساندة :

يأتى تكنيك المساندة فى إطار الدعم لبعض الأطراف المشاركة فى الأزمة الدولية ، وتعظيم قدرتها على المواجهة ، وتوسيع دائرة التأييد الدولى لموقفها فى مواجهة الخصوم ، وفى إطار هذا التكنيك تتعدد أوجه المساندة بين الدعم السياسى والإعلامى والإمداد العسكرى والمساعدة الاقتصادية ، كما حدث فى حرب ١٩٧٣ حين قررت الولايات المتحدة يوم ٩ أكتوبر إمداد إسرائيل فوراً " بسيل من العتاد الأمريكى " Immediate Flow of U.S Material كما جاء فى نص رسالة الشكر التى وجهتها جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية إلى الرئيس الأمريكى نيكسون فى اليوم التالى ، وعلى الجانب الآخر قررت الدول العربية المنتجة للبترول يوم ١٧ أكتوبر تخفيض إنتاجها من البترول بنسب تتراوح بين ٥% إلى ١٠% ورفع أسعاره بنسبة ٧٠% ، وحظر تصديره للدول التى ثبت تأييدها لإسرائيل .

وفى إطار نفس التكنيك تأتى " المساندة المعنوية " كشكل رئيسى للدعم الذى قد يحتاجه طرف ما لمواجهة موقف حاد فى أزمة ، ولا يقصد بالمساندة المعنوية " ادعاء الدعم " دون التورط فى إلتزامات ، ولكن يقصد به الاهتمام الحقيقى والحرص الكبير على المساعدة من أجل إعادة الوقوف من جديد ومواجهة المحنة ، وتبرز هنا المساندة المعنوية التى أبداها عدد من الزعماء الدوليين لمصر عقب حرب ١٩٦٧ والتى بدت فى رسائلهم واتصالاتهم الموجهة إلى الرئيس عبد الناصر عقب قراراه بالتنحى يوم ٩ يونيو ، ومن أهمها رسالة

يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة والتى جاء فيها " إن العظمة الحقيقية هى فى المقدرة على احتمال المكاره ، وهو يرجو الرئيس عبد الناصر إعادة النظر فى قراره وإلا يكون بذلك قد لعب دون أن يقصد ذلك لعبة الآخرين " ، كما أرسل الرئيس الفرنسى ديجول رسالة جاء فيها : " إن النصر والهزيمة فى المعارك عوارض عابرة فى تاريخ الأمم ، وما يهم هو الإرادة ، وإن فرنسا فى وقت من الأوقات كان نصفها تحت الاحتلال المباشر للنازى ، ونصفها الآخر خاضعاً لحكومة عميلة ، ولكنها لم تفقد إرادتها وظلت طول الوقت تسير واثقة وراء قيادتها المعبرة عن إرادتها ، ذلك أن الشجاعة الحقيقية هى فى مواجهة المحن ، وأما الأوقات السعيدة فإنها لا تستدعى هذه الشجاعة " (محمد حسنين هيكل ١٩٩٠ : ٨٥٧ – ٨٥٨) .

ومن الضرورى أن تحدد الدولة التى تستخدم " تكنيك المساندة " المدى الذى يجب أن يمثل إطاراً لهذه المساندة ، وهل الاستعدادات تسمح بما هو أكثر من المساندة ، أى باحتمال الدخول الفعلى فى الأزمة أم لا ، أو أن يتخذ ذلك ذريعة لدفعها قسراً إلى لهيب أزمة لم تعد نفسها لها ، بينما أعد الخصوم كل الترتيبات ، كما حدث لمصر فى حرب ١٩٦٧ والتى بدأت بورود معلومات فى منتصف مايو عن حشود إسرائيلية على الجبهة السورية ، وهو ما جعل مصر – وفقاً لاتفاقية الدفاع المشترك – تهدد بالتحرك العسكرى إذا هوجمت سوريا ، رغم أنها لم تكن مستعدة لذلك ، ووجدت إسرائيل فى هذه المساندة فرصة سانحة انتظرتها كثيراً لمهاجمة مصر واحتلال سيناء .

٢٥- تكنيك استعراض القوة :

يقول الكاتب البريطانى الشهير ليدل هارت " إن مهمة الاستراتيجية أن تقلل من دور القتال بقدر الإمكان " حيث لا يكفى فى الأزمات الدولية مجرد

امتلاك القوة المحركة لها ، ولكن من المهم امتلاك كيفية إدارتها على نحو يزيد من فاعلية وجودها ، بدءاً من إدراك الطرف المتصارع معه لوجود هذه القوى ، ووصولاً إلى الاقتناع الكامل من جانبه بإمكانية استخدامها ، وهو ما يمكن أن يشكل رادعاً يمنع الأزمة من الوصول إلى مرحلة الصدام الحتمى ، وهنا يأتى "استعراض القوة" كأحد التكنيكات الأساسية المستخدمة فى إدارة الأزمات الدولية من خلال الرسائل المباشرة وغير المباشرة ، المعلنة للقوة أو الملوحة بها ، سواء كانت قوة سلاح أو عقوبات أو مساعدات ، وذلك للضغط على الخصوم ، وإحداث ثغرات نفسية فى صفوفهم ، ومحاولة دفعهم لإعادة التفكير والتراجع عن دفع الأزمة للأمام ، وإشاعة الاطمئنان فى نفوس المؤيدين ، والسعى لزيادة الاستقطاب ، وإتاحة الفرصة للجوء إلى استخدام البدائل السلمية .

وعلى الرغم من ذلك فقد تلجأ بعض الدول الكبرى إلى استعراض القوة من خلال استخدام حدها الأقصى ، على الرغم من عدم اقتضاء الأزمة الدولية ، وقد يكون ذلك لإرساء قواعد جديدة فى الوضع الدولى ، أو تأكيداً لجدية استخدامها حين يلوح بها ، ففى نهاية الحرب العالمية الثانية استعملت الولايات المتحدة السلاح النووى ضد اليابان دون وجود ضرورة ماسة له ، وقد ذكر جيمس كارول أحد أشهر كتاب الأعمدة الصحفية الأمريكية فى صحيفة " بوسطن جلوب " حين تم استضافته فى البرنامج الاخبارى الأمريكى الشهير Democracy Now يوم ٢٠٠٦/٥/١٠ أنه فى ربيع ١٩٤٥ كانت هناك إشارات من اليابانيين برغبتهم فى الاستسلام ، وقد تم إعاقة استقبال هذه الإشارات عمداً ، وتم إعادة التأكيد على مطالبتهم باستسلام غير مشروط ، وكان كل ما أراده اليابانيون ضمانات بشأن الإمبراطور الذى كان مقدساً لديهم ، ولم يكونوا ليرضوا بأن يصيبه ما أصاب هتلر وموسولينى ، والغريب أنه بعد إلقاء

القنبلتين النوويتين على هيروشيما وناجازاكى لم يستسلم اليابانيون دون شروط كما أرادت الولايات المتحدة من قبل ، وإنما أدرجوا شرطاً قبلته الولايات المتحدة ، وكان بشأن الإمبراطور ! .

يضاف إلى ما سبق أنه ثبت أن اليابان قد طلبت شروط وقف القتال عن طريق المفوضية اليابانية فى العاصمة السويسرية برن ، ورغم ذلك فإن الرئيس الأمريكى " ترومان " أمر باستخدام السلاح النووى لتجربته عملياً من ناحية ، ومن ناحية أخرى لإنذار الاتحاد السوفيتى مبكراً قبل أن تحدثه نفسه بإمكانية أن يكون نداً للولايات المتحدة متوهماً بانتصاراته الكبرى ضد جيوش هتلر ، ومن ناحية ثالثة فقد وقع استعمال السلاح النووى كإعلان للعالم بأن عهداً إمبراطورياً جديداً قد بدأ ، وهذا العهد الامبراطورى أمريكى ولا ينبغى لأحد أن يجهل هذه الحقيقة أو يتجاهلها (محمد حسنين هيكل ٢٠٠٣ : ٤٩ – ٥٠) .

٢٦- تكنيك تقديم الأدلة :

عندما تحتدم الأزمات الدولية تتعدد وتتفاوت المواقف والمعلومات والآراء ووجهات النظر ، ووسط هذا التدفق الإعلامى تضيق المسافات وتتداخل بين الحقائق وأنصاف الحقائق والأكاذيب ، وتزيد أهمية الأزمة من رغبة الجمهور فى متابعة كل ما يقال بحثاً عن الحقيقة ، وهو ما يؤدى فى نفس الوقت إلى غياب الحقيقة وسط ضباب المتناقضات التى لم تحسم بعد ، ومع تهافت الجمهور على المعلومات يزداد تهافت المؤثرين على الجمهور ، وعلى كيفية تقديم هذه المعلومات بحثاً عن الاستقطاب والتأثير ، وتتعدد الأساليب المستخدمة فى تأكيد المصداقية والحث على الاقناع .

ويعد تكنيك تقديم الأدلة أحد التكنيكات المؤثرة فى زيادة مصداقية الرسالة الإعلامية ، حيث يخاطب العقل والمنطق ، ويحاول ألا يترك فرصة

لاحتمالات التشكيك والادعاء ، خاصة إذا قدم وسط متغيرات سياسية وإعلامية داعمة له ، والى جمهور يتمتع بالقدرة على التحليل وفصل الجوانب الخلافية ، ويتوقع إثباتاً لما يقدم إليه بأدلة جديدة وغير مألوفة ، ومن متحدثين يتمتعون بالمصداقية ، فالمصداقية تجعل الجمهور يدرك الرسائل على أنها إنعكاس حقيقى للأحداث التى يتم وصفها ، وتجعله يدرك أيضاً أن أحكامه وأراءه حول الأحداث هى إنعكاس صحيح للحقيقة (ماجدة مراد ٢٠٠٨ : ٢١).

لذلك تتعمد وسائل الإعلام أثناء الأزمات الدولية البحث عن الأدلة التى تدعم معلوماتها وأخبارها ، وتزيد الثقة فيها ، وتضعف إدعاءات الإعلام المناوئ وتخلخل مصداقيته ، وتسعى إلى قصر الاعتماد عليها كمصادر أساسية للمعلومات بما يزيد فاعليتها ويفقد الخصم بعضاً من أدواته الفاعلة فى إدارة الأزمة ، وقد استخدم الإعلام المصرى تكنيك " تقديم الأدلة " بكثافة فى جولات الصراع العربى الإسرائيلى خاصة أثناء الحروب ، وهنا يجب التأكيد على أن فاعلية هذا التكنيك تعتمد على وجود موقف سياسى وعسكرى داعم لهذا الاستخدام ، وهو ما يعلل زيادة فاعلية استخدامه خاصة فى حربى ١٩٥٦ و١٩٧٣ ، وبدراسة التغطية الصحفية المنشورة بصحيفة الأهرام نجد أنها استخدمت كأدلة فى " حرب ١٩٤٨ " على سقوط بلدة دير سنيد ومستعمرة نيتسانيم ، كما عرضت صور سيارات الجيش البريطانى وهى تنقل عتاداً لليهود، وصور الأسرى الإسرائيليين ومخابئهم وحطام طائرات إسرائيلية ومطار إسرائيلى مدمر ، وفى " حرب ١٩٥٦ " استخدمت صحيفة الأهرام الصور كإدلة على المظاهرات التى شهدتها ألمانيا وروسيا وتشيكوسلوفاكيا والصين وإندونيسيا ضد المعتدين ، كما استخدمت لتثبت استخدام الفرنسيين لطائرات الأطلنطى فى العدوان الثلاثى ، ولتصوير الباخرة التى ضبطت وهى تهرب السلاح إلى إسرائيل ، وفى " حرب ١٩٦٧ " استخدمت لتوضيح تهجير الفلسطينيين من

الضفة الغربية ، وفى " حرب ١٩٧٣ " استخدمت بتوسع لتبرز صور أسر الجنود الإسرائيليين وأسر الجنرال الإسرائيلى عساف ياجورى قائد اللواء ١٩٠ الذى تم تدميره ، وحطام طائرات الاستطلاع الإسرائيلية ، والمراسلين الأجانب وسط حطام دبابات العدو ، وصور لمواقع خط بارليف التى تم الاستيلاء عليها (السيد بهنسى ٢٠٠١ : ٢٢٤ – ٢٢٩) .

٢٧- تكنيك التهوين من الطرف الآخر :

عندما كانت الولايات المتحدة تتأهب لغزو العراق سرت فى أوربا أصوات معارضة لهذا الغزو تزعمتها ألمانيا وفرنسا ، وفى محاولة منها للانتقاص من شأن الدولتين أدعت الولايات المتحدة أنهما يمثلان "أوربا القديمة" التى تجاوزها الزمن ، بينما الدول التى أيدت الغزو تمثل " أوربا الجديدة " المليئة بالشباب والحيوية والأمل والتأثير ، والتى يتعين الاعتماد عليها فى الحقبة القادمة ، ومن الواضح أن إطلاق تسمية " أوربا القديمة " على المعارضين للغزو الأمريكى كانت محاولة تستهدف سد الثغرة التى بدت واضحة فى التحالف الدولى ، والنيل ممن أوجدوها من خلال التهوين من شأنهم .

وكما يبدو فى المثال السابق فإن تكنيك " التهوين من الطرف الآخر " يستهدف إلحاق التشويه بالصورة الذهنية للخصوم والمعارضين ، ومحاولة تقليص مكانتهم لدى الجماهير ، وتقليل تأثيرهم وتأثير مواقفهم وقراراتهم ، وتبرير مواقف الطرف الذى يستخدم هذا التكنيك وتدعيم دوره ، ويعيب استخدام هذا التكنيك اعتماده على اللغة الانفعالية ، والادعاء ، وإطلاق الأحكام ، والسخرية من الخصوم ، وهو ما يقلل من منطقيته وقدرته على التأثير ، وخاصة لدى الجماهير التى تريد براهين وأدلة وقرائن فى أزمات دولية تشكل

مصيراً لدول ومستقبلاً لشعوب ، ولا مجال فيها للانسياق وراء إطلاق الادعاءات ، والانحدار نحو مستوى قد يبدو غير لائق سياسياً وإعلامياً .

ففى ذروة اشتعال أزمة ١٩٥٦ بعد تأميم قناة السويس ، ألقى انتونى ايدن رئيس الوزراء البريطانى يوم ٨ اغسطس ١٩٥٦ خطاباً فى التليفزيون إلى الشعب البريطانى عن الأزمة ، وكان الأسلوب الذى اتبعه ايدن فى هذا الخطاب مفاجئاً فى كلماته ، وفى أسلوبه وفى المؤثرات التى استعملها لخلق انطباعات لدى الجماهير التى جلست تسمع وترى ، فقد ظهر جالساً وراء مكتبه ، وبدأ حديثه بعرض عام للأزمة من وجهة نظره ، إلى أن وصل فى حديثه إلى عبارة : " لقد سئلت كثيراً لماذا لا نثق بالكولونيل ناصر ؟ والرد بسيط انظروا إلى سجله " ، وفتح ايدن أمام الملايين الذين يتابعون خطابه ورقه سوداء ، ثم عاد إلى حديثه يقول " انظروا إلى سجله الأسود ... إن الكولونيل ناصر شن حملة دعائية شديدة ضد بلادنا ، وقد أظهر أنه رجل لا يمكن الوثوق به للمحافظة على أى اتفاق ، ولقد نكث الآن بوعود بلاده لشركة قناة السويس ، وهذا نموذج نعرفه جيداً ، إننا نعرف أن هذا هو تصرف الحكومات الفاشية ، ونعرف كم يكلفنا التسامح مع الفاشيست " .

وفى يوم ٩ اغسطس وبعد أن وصلت نصوص خطاب ايدن بالكامل إلى القاهرة ، غير هذا الخطاب صورة الأمس كلها ، ولم يعد اشتراك مصر فى مؤتمر لندن مطروحاً ، بعد أن كان الرئيس عبد الناصر قد قرر الذهاب بنفسه ، والذى رد معلقاً على خطاب ايدن " أنه يكذب على شعبه ، وهذا شأنه ، ولكن هل ينزل من مستوى سياسى يرأس وزارة دولة كبرى إلى مستوى ممثل رخيص يحاول التأثير على الناس بورقة سوداء ... هل هذا معقول ؟! وأى نفع من الكلام مع مثل هذا الرجل ؟! " (عبد الحميد أبو بكر ١٩٨٧ : ١٣٥ – ١٣٦) .

٢٨- تكنيك التبرير :

أخيراً ... وعندما وصلت الأزمة إلى ذروتها ، وبدأ تنفيذ مؤامرة العدوان الثلاثى فى ٢٩ أكتوبر بالعدوان الإسرائيلى ، اجتمع مجلس الوزراء البريطانى فى اليوم التالى ، وحضره القادة العسكريون ، وظل التبرير القانونى محلقاً فوق الجميع حتى بعد انطلاق الحرب ، فقد حدث قبل أن يلتئم الاجتماع أن التفت الادميرال اللورد " مونتباتن " إلى " وليام كلارك " المستشار الصحفى لرئيس الوزراء البريطانى وقال له " إننى لا أحسدك على ما سوف يتعين عليك القيام به فى الأيام القليلة القادمة ، فهذه أكثر حرب يصعب تبريرها على الإطلاق !! " (محمد حسنين هيكل ملفات السويس ١٩٨٦ : ٥٤٣) .

لكل أزمة مواقف لأطرافها ، تحتاج إلى أن يقدم صناع القرار تبريراً منطقياً يتقبله العقل لهذه المواقف ، سعياً لحشد تأييد الرأى العام للقرارات المترتبة على ذلك ، ويمثل هذا التبرير مدخلاً عقلياً ضرورياً لتسويق موقف الدولة من الأزمة فى الداخل والخارج ، ومهما كان مدى القوة السياسية والعسكرية والطاقات الإعلامية والاقتصادية للدولة ، فإنها إذا لم تملك منطقاً مشروعاً ومقبولاً لمواقفها فلن تستطيع أن تحسم الأزمة لصالحها ، حتى لو استطاعت مرحلياً فرض سياسة الأمر الواقع على خصومها أو على المجتمع الدولى ، فالقوة لا تصنع منطقاً ولا تفرض حقاً غير موجود ، حتى لو بدا الأمر لفترة ما على غير ذلك .

فقد شهدت الأزمات الدولية على مر العصور " ذرائع الغزو " و"مبررات الاحتلال" تتقدم جيوش الغزاة ، فعندما هاجمت بريطانيا مصر واحتلتها عام ١٨٨٢ ادعت أن ذلك لتأمين الرعايا الأجانب فى مصر ولم تقر أنه لحماية تجارتها فى الشرق بالاستيلاء على قناة السويس ، وعندما غزت فرنسا الجزائر واحتلتها عام ١٨٢٧ ادعت أن ذلك لوقف أعمال القرصنة التى يقوم بها

بعض الجزائريين فى البحر المتوسط وإعادة سفن بابا روما ، ولم تقر أنه بسبب رغبتها فى عدم دفع ديونها الخاصة بالقمح الجزائرى والذى بلغ ٢٤ مليون فرنك تم تخفيضه إلى ٧ مليون فقط وعلى آجال طويلة ، وكانت ترى أنها الدولة الأولى باحتلال الجزائر ، وعندما وقعت مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر ادعت دول العدوان أنه لحماية الملاحة الدولية فى قناة السويس ولم تقر أنه لحماية مصالحها الخاصة المتمثلة فى قناة السويس الشريان البحرى بين الشرق والغرب ، ومقاومة المد الثورى فى مصر ، ودور مصر فى مساندة ثورة الجزائر ... ورغم ذلك لم تستطع هذه الدول – فى الأزمات السابقة وغيرها – بما تملكه من قوى أن تغير من واقع الحقائق شيئاً ، واستطاعت الشعوب التى هوجمت أن تغير الوضع بمبرراتها الحقيقية والمنطقية ... والمشروعة قبل ذلك كله .

٢٩- تكنيك تصحيح الأوضاع :

فى يوم ١٩٦٧/٦/١٤ وبعد أن صدرت قرارات تغيير قيادات القوات المسلحة ، وفى لقاء مع الرئيس جمال عبد الناصر ، قال الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب الجيش بعد حرب ١٩٦٧ " سيادة الرئيس ... أريد أن آخذ وعداً الآن أن لا تقبل بحل سياسى لهذه المشكلة قبل أن ندخل معركة ... حتى لو عرضوا عليك استعادة كل الأراضى المحتلة ، فلابد أن ترفض حتى تتيح لنا الفرصة للقتال ... إن القتال لن يستعيد الأرض وحدها ، وإنما سوف يرسخ قيماً ومعانى أكبر من الأرض ، وإننا إذا لم نحارب فإننى أخشى أنه حتى المستوى الأخلاقى للناس جميعاً سوف يتدهور ، بل سوف يتدهور سلوكهم فى حياتهم اليومية " (محمد حسنين هيكل ١٩٩٠ : ٨٧٩ – ٨٨٠) .

لقد تم اختيار تكنيك " تصحيح الأوضاع " من بين كل البدائل ، وهو

تكنيك لا بديل عنه عندما تنفجر الأزمة الدولية وتتراكم نتائجها المريرة ، ولابد أن يستند هذا التكنيك أولاً إلى تكنيك " الاعتراف " للإقرار بما حدث من تداعيات ، وتحمل المسئولية كاملة ، وتحديد الأسباب التى أدت إليها ، والعناصر التى شاركت فى تفاقم السلبيات ، والاقتناع بضرورة مواجهة النتائج ، واتخاذ القرارات المصيرية لإصلاح الأوضاع ، وضمان عدم تكرار ما حدث ، وإعلان هذه القرارات للرأى العام ، وتحمل تبعات الانتقادات الحادة والاتهامات ، وعلى الرغم مما يوجده استخدام هذا التكنيك من تصاعد للضغوط ، وفتح المجال للمتربصين باستغلاله فى تحقيق أهدافهم ، والنيل من صناع القرار ، إلا أنه يتمتع بدرجة عالية من المصداقية ، وتقدير الرأى العام لتحمل المسئولية وعدم اللجوء إلى محاولة تحميل أطراف أخرى لها ، والاستعداد للاستفادة بما تم فى إصلاح ما هو آت .

وقد استخدم العديد من دول العالم هذا التكنيك لمواجهة أزمات دولية حادة ترتبت عليها خسائر ونتائج فادحة ، فقد استخدمته الإدارة المصرية بوضوح بعد حرب ١٩٦٧ حين قامت بتغيير قيادات القوات المسلحة ، وتشكيل وزارة مدنية جديدة ، وإعادة بناء جميع مؤسسات القوات المسلحة ، والاهتمام الفعلى باستيعاب التجربة الإسرائيلية فى الحرب ، ودراسة المتغيرات الدولية والإقليمية بواقعية ، وإعادة صياغة السياسة الإعلامية ، كما استخدمته الولايات المتحدة حين قررت وضع حد لإنهاء تورطها فى فيتنام لسنوات طويلة تكبدت فيها خسـائر لم تتكبدها من قبل ، وتحملت ما صاحب هذا القرار من انتقادات لا نهاية لها طالت العديد من أعضاء الإدارة الأمريكية .

كما استخدمته الولايات المتحدة مرة أخرى فى عهد الرئيس كلينتون حين قرر فى ١٦ أكتوبر ١٩٩٣ الانسحاب السريع من الصومال بعد مواجهة مسلحة شهيرة مع الصوماليين طالت المكانة العسكرية الأمريكية ، ولم يحاول

التورط فى حرب جديدة طويلة ومكلفة ، ولم يتم النظر إلى عواقب هذا الانسحاب الذى تجسد فى قول بطرس غالى فى مذكراته : " أرسلت غارة القناصة الأمريكيين فى الصومال والتى انتهت بكارثة رسالة طافت كل أنحاء العالم مؤداها : اقتلوا الجنود الأمريكيين ، وسوف تأمر واشنطن بإعادة القوات الأمريكية المسلحة إلى بلدها " (بطرس غالى ١٩٩٩ : ١٢٩) .

٣٠- تكنيك الرد غير المباشر :

قد يكون من الملائم فى بعض الأحيان اللجوء إلى الرد غير المباشر على الآراء والمواقف المعلنة ، تفادياً لما قد يسببه الرد المباشر من تنشيط القوى المضادة التى تمنع تحويل الاتجاه أو تعديل الآراء ، أو ما قد يؤدى إليه من صدام يعقد الموقف ويوجد صعوبة فى التراجع أمام الرأى العام والإعلام ، ويجعل إعادة النظر فى الموقف يشكل حالة من التنازل قد لا يرغبها الطرفان .

وبذلك يجمع تكنيك " الرد غير المباشر " بين التأكيد الواضح والتهدئة المستترة ، مما يمنح فرصة التراجع الهادئ وتحويل الاتجاه ، خاصة فى الأزمات الدولية التى تشكل حساباتها حساسية خاصة للطرفين ، ويمثل الحرص على قواعدها ومبادئها رصيداً لا يستطيع صانع القرار إعلان إعادة النظر فيه مما قد يعد تفريطاً لا يقبله الجمهور بسهولة ، حتى وإن كان صانع القرار يرى ضمناً أنه لابد من بعض التنازل سعياً إلى التقارب وحل المشكلة .

فبعد أن تولى الرئيس الأمريكى جيمى كارتر الحكم بدأ فى تحديد مناهج وبرامج حكومته ، وأعلن حرصه على أن يضع بصماته على العلاقات الدولية للولايات المتحدة ، مما أوضح أنه يتخذ نهجاً مختلفاً عن الإدارات السابقة ، وأعلن عزمه إعطاء دفعة قوية فى سبيل الوصول إلى حل شامل لقضية الشرق الأوسط بمختلف جوانبها بدلاً من التحرك على خطوات ... وبمرور الشهور بدأ

كارتر يتعرض لحملة بالغة الشدة من الأوساط اليهودية والمتعاطفين معها ضد سياسة الشرق الأوسط ، مستغلين فى ذلك الصعوبات الجمة التى يواجهها كارتر فى حل بعض القضايا الداخلية والخارجية ، وانخفاض شعبيته وهو ما أظهرته استطلاعات الرأى فى تلك الفترة ، وهو ما أثار الشكوك والتساؤلات فيما إذا كان كارتر سيرضخ لهذه الحملة ، ويبطئ من سعيه لتسوية أزمة الشرق الأوسط، وحسماً لهذه الشكوك والتساؤلات حضر كارتر المؤتمر اليهودى العالمى فى واشنطن فى ١٩٧٧/١١/٢ ، وألقى خطاباً فى حضور أكبر تجمع صهيونى عالمى مؤيد لإسرائيل ، أعلن فيه تصميمه على السير فى الطريق الذى رسمه لدور الولايات المتحدة فى حل أزمة الشرق الأوسط ، وتعمد بذكاء ومهارة استغلال المؤتمر اليهودى العالمى ليتصدى من على منبره لكل المحاولات التى بذلت لإثنائه عن هذا الدور ، وليعلن عزمه على عدم تغيير سياسته التى تعبر عن المصالح القومية للولايات المتحدة (اشرف غربال ٢٠٠٤ : ١٣٥) .

٣١- تكنيك التكرار المتنوع :

يعد تكنيك التكرار المتنوع تكنيكاً مصاحباً للعديد من التكنيكات الأخرى أثناء الأزمات الدولية ، حيث يملك قوة الدق المنتظم التى تساعد على زيادة فاعلية إقناع الجمهور وإدراكه لكافة تفاصيل المواقف والرؤى المقدمة .

فإذا كانت الشعارات مثل " الستار الحديدى " ، و " إمبراطورية الشر " ، و " محور الشر" ، و " النظام العالمى الجديد " تملك قوة اختزال رسائل الأزمات الدولية فى كلمتين أو ثلاثة ، فإن استخدام تكنيك تكرار هذه الشعارات يحولها بمرور الوقت إلى رمز يستدعى كل ما بها من معانٍ مختزنة وبأسلوب يسهل تذكره ، ويحولها من مجرد وجهة نظر أو إعلان رأى إلى عنصر ضغط يملك طاقة تأثير متصاعدة كلما تم تكراره .

ولأن البعض يرى أن تكرار الرسالة الإعلامية قد يبعث على ملل الجمهور مما يقدم ، فإن التكرار المتنوع هو الضرورة التى لا غنى عنها لدفع الملل من ناحية ، والمساعدة على التذكير المستمر بأهداف الرسالة الإعلامية من ناحية أخرى ، كما أنه لكى يكون التكرار أكثر فاعلية يجب أن يقتصر على الأفكار والكلمات المهمة البارزة والمستهدفة فقط .